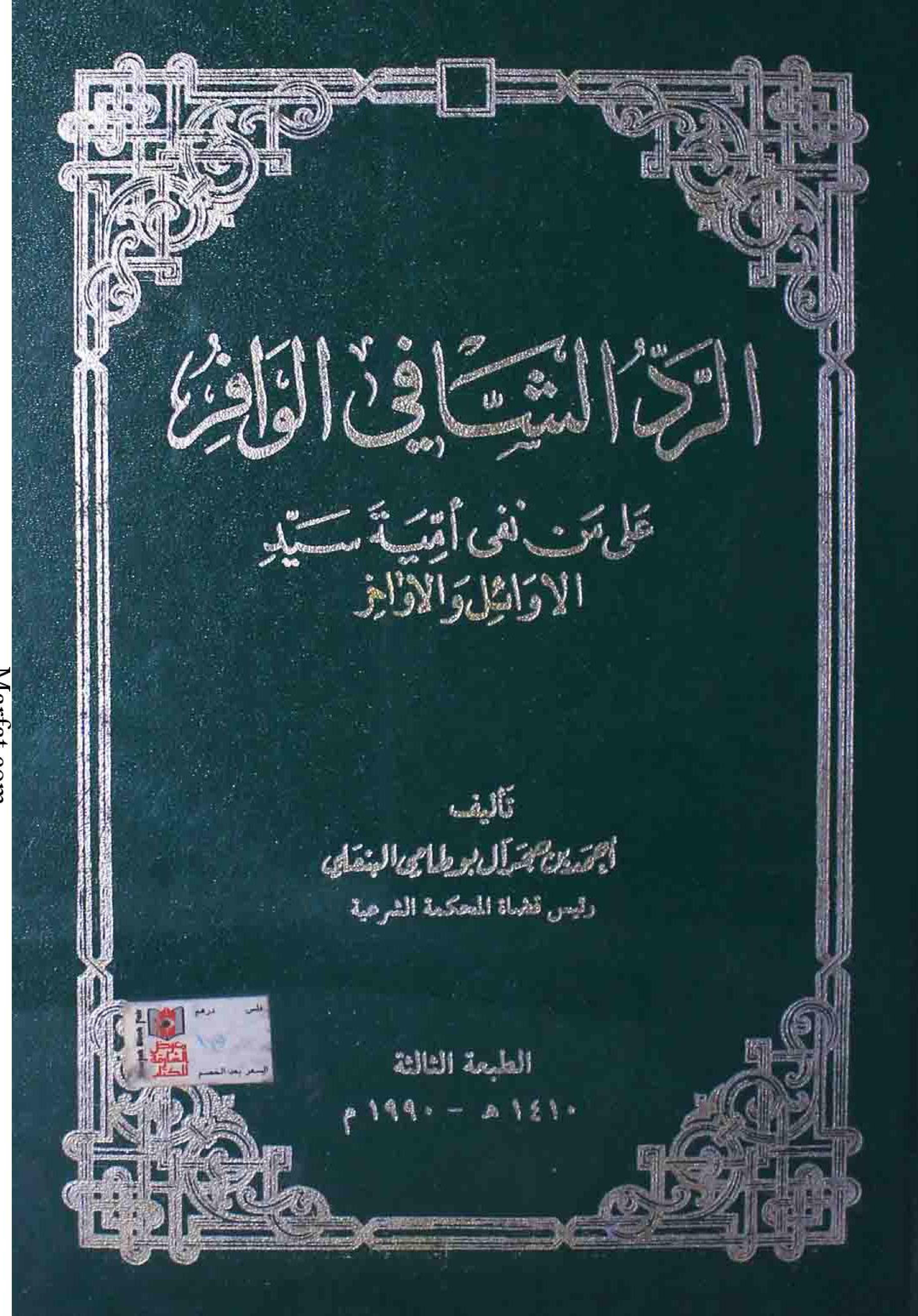

الرد الشافي الوافر
على من نفى أمية سيد
الأوائل والأواخر
تأليف
أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي
رئيس قضاة المحكمة الشرعية
الطبعة الثالثة
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الرَّدُّ الشَّافِي الوَافِر

عَلى مَن نفى أُمِّيَّةَ سَيِّدِ الأوائِلِ والأواخِر

وعليه تعاليق مفيدة وأبحاث نفيسة تزيد من قيمة الكتاب .
كما تزيد القارىء بياناً وبصيرة وتأخذ بيديه إلى سواء السبيل ،
وقد جعلت التعاليق في أسفل الصحائف مشاراً إليها بأرقام

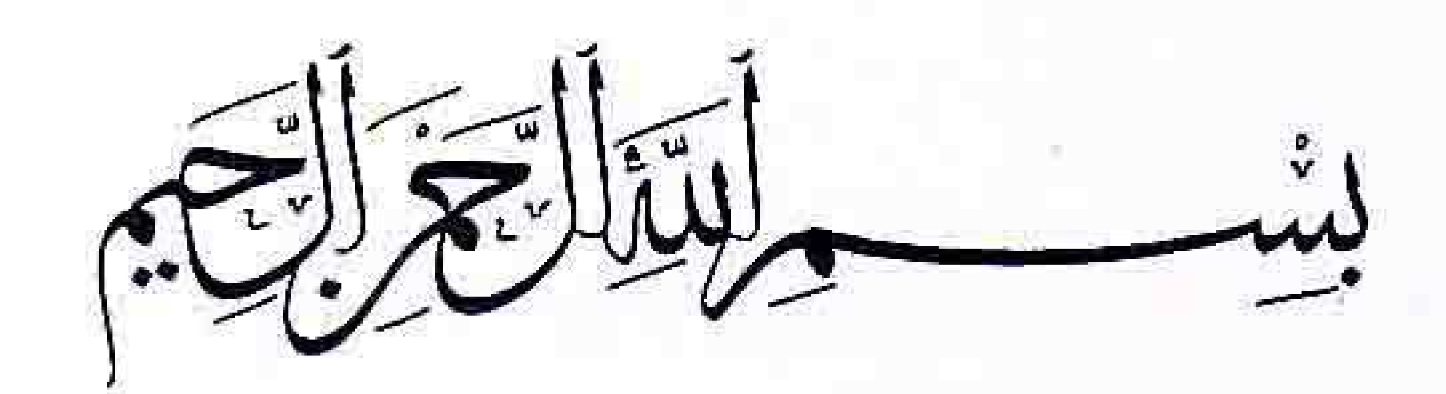
تأليف

أحمد بن حجر آل بوطامى البنعلي

رئيس قضاة المحكمة الشرعية

عفا الله عنه وعن والديه آمين

الطبعة الثالثة
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن اقتفى نهجه ، أما بعد .

فما إن اطلع على هذا الكتاب فضيلة الشيخ عبد البديع بن صقر مدير دار الكتب القطرية وقرأه حتى بادر بكتابة كلمته القيّمة الجليلة .

ونحن إذ نشكره على كلمته لا ننسى أن نكرر شكرنا له على ما أبدى من إقتراحات من شأنها أن ترفع من شأن الكتاب وتجعله أتم تنسيق وترتيب . وقد عملنا ببعض منها . فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء ، ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه .

مقدمـــة الطبعة الثالثـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعـد :

فقد طبعت في سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م في بيروت كتابي المسمى (الرد الشافي الوافر على من نفى أميـة سيـد الأوائـل والأواخـر) ثم أعـدت طباعته في شهر ذي الحجة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م في قطر ، وحيث قد مضت سنوات عديدة من الطبعة الأولى والثانية ، ونفذت جميع النسخ ، وحيث كان الكتاب في موضوع هام وهو إثبات أمية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ورداً على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقـرأ ويـكتب ، مثل بعض المستشرقين ومن قلدهم كالمبتدع عبد اللطيف الهندى ، فجاء الكتاب والحمد لله يحمل أدلة علمية نقلية وعقلية ، وناقضاً جميع شبهات ذلك الهندى المبتدع وأوفى بالمراد ، بحيث لم يدع له ثغرة يدخل منها .

والموضوع في الحقيقة هام للغاية ، لأن نفى الأمية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تكذيب للقرآن وللأحاديث وللصحابة والتابعين وتابعيهم وسائر المسلمين ، ولا عبرة بمن شذ عن الجماعة .

وكونه صلى الله عليه وسلم أميا من المعجزات التى منحه الله تعالى، وقد كان محرماً عليه الكتابة كما ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، وإنه ينبغى في هذا العصر نشر مثل هذا الكتاب، هذا العصر والقرن السالف الذى انتشرت فيه البدع والضلالات والغزو الفكرى من الأوروبيين، وتأثر الكثيرين بذلك الغزو بأساليبه الماكرة التي تلبس ثوب العلم والتحقيق، وفي الحقيقة كذب وزور وقلب للحقائق، كزعم الكثيرين منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أمياً والله تعالى

يقول (الـذين يتبعـون الرسول النبى الأمى الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . . الآية) [1] .

لذا جاء هذا الكتـاب فريداً في بابه، لم يسبق أن كتب أحد مؤلفاً خاصاً في هذا الموضوع، ومن أجل كون هذا الموضوع بهذه المثابة أعدت طباعته للمرة الثالثة بعد أن قمت بتصحيح أخطاء الطبعتين وتحقيقه راجياً به النفع العام لجميع المسلمين، كى لا يتأثروا ان شاء الله بأقوال الكفرة والملحدين، والله ولي التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي

رئيس قضاة المحكمة الشرعية

---

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

اطلعت على كتاب الرد الوافر لفضيلة الأخ الشيخ أحمد بن حجر القاضي بقطر ، فسررت به وحمدت الله على ما ساق للشيخ فيه من توفيق . والحق أنه أحاط بالموضوع من أطرافه وشفى النفس من هؤلاء الأدعيـــاء ، الذين اغتروا بأنفسهم فراحوا يفترون الكذب على الله ورسوله ؛ ويشككون المسلمين في الحقائق التي سلم بهـــا المؤمن والكافر – يبتغون بذلك عرضاً رخيصاً من دنياهم «الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» .

ولقد استقصى المؤلف جملة من الكتب والموضوعات حتى جاء رده رداً مفحماً بأسلوب علمي يدل على سعة الإطلاع وأصالة البحث .. وربما يظن البعض أن القضية سهلة وأنها لا تستدعي كل هذا الجهد ولكن أعداء الإسلام يعلمون مفاتيح الفتن وطرق الكيد لهذا الدين .

نعم : إن القـول بعـدم أميـة الرسول فيه تكذيب للقرآن أولا ـ وثانياً تكذيب

للتراث الإسلامي كله ووصف للرسول بأنه كاذب وممثل — وحاشاه ﷺ — ومتى رسخت هذه الفرية في النفوس يأتي المدخل الثاني وهو أن تعاليم الإسلام مسروقة أو منقولة . كما قال الله تعالى عنهم : « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً » .

وقد قال ذلك جماعة من الكفار المتقدمين والمتأخرين .

أما الشيء الجديد والخطر اليوم ، فهو أن يقول بـــه من يدّعون الإسلام وينتسبون إليه .. وهم في الحقيقة صدى لصوت أعدائه الكافرين .

ومن هنا تبرز أهمية مثل هذا الكتاب .

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء على ما سد من ثغرة ، ودرأ الله به من فتنة ، ونسأل الله أن ينفع به المسلمين . ويلجم به أعداء الدين. والحمد لله رب العالمين.

مدير دار الكتب القطرية



الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر

تأليف

الشيخ أحمد بن حجر آل بن علي

طبع بإشراف دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت

١٣٨٨ هـ. – ١٩٦٨ م. – عدد صفحاته (٢٥٦).

مؤلف هذا الكتاب من علماء دولة قطر وقاضي المحكمة الشرعية فيها، وكان سبب تأليف هذا الكتاب هو ما طالعه في بعض الصحف الإيرانية، أن أحد أساتذة جامعة حيدر آباد، قد زعم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن أمياً، بل كان مثقفاً كسائر أبناء الأشراف في عصره، وكان يحسن القراءة والكتابة، فألّف المؤلف هذا الكتاب رداً على هذا الأستاذ، فأثبت فيه أمية الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – بالحجج والبراهين، فبدأ في بيان كيد أعداء الإسلام ومحاربتهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – من بدء ظهوره حتى عصرنا هذا، ثم أتبع ذلك، نبذة تاريخية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من ولادته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، ثم عرف استناداً على بعض المصادر، كالمعاجم وتفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة في تعريف لفظة الأمّي من أجانب وعرب على اختلاف مذاهبهم.

وقصارى القول أن المؤلف الفاضل قد ألم موضوعه إلماماً تاماً، مؤيداً ذلك بالحجج والبراهين بطريقة علمية منسقة، فجزاه الله كل خير.

عمر رضا كحالة

الرد الوافر

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير المرسلين .

وبعد : فإنها لنعمة عظيمة أن أتاح الله - تبارك وتعالى - لي الاطلاع على كتاب « الرد الوافر على من نفى أميّة سيد الأوائل والأواخر » تأليف حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد بن حجر ، قاضي المحكمة الشرعية بقطر ، وقد لاحظت أن الكتاب وإن كان قد سيق للرد على من زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قارئاً كاتباً قبل البعثة ، فإنه وإن وفّى هذا الرد ، وأتى على الغاية المنشودة في هذا السبيل ، إلا أنه كان فيما لم يسق الكتاب له أجل خدمة وأعظم خطراً إن شاء الله ، ألا وهو ما تضمنه الكتاب في ثنايا ردوده من جميل الدعوة إلى الله - عز وجل - ونشر محاسن الإسلام والتعريف بمقاصده العظمى ، والرد على أعدائه في غير ما سيق الكتاب في الأصل له ، فكان النفع به مزدوجاً ، نسأل الله رب العرش الكريم أن يجزل للمؤلف حسن المثوبة وأن يمده بعون من عنده ، وأن يعم بهذا الكتاب ، إنه رحيم ودود ، وصلى الله وبارك على النبي وعلى آله وصحبه وسلم .

قطر - الدوحة في ١٣٨٨/٤/٢٥ هـ.

كتبه

عبد القادر شيبة الحمد

المدرس بكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض « سابقاً »
والمدرس بكليتي الشريعة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية
و المدرس بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة

فضيلة الشيخ محمد صالح العباسي

حضرة صاحب الفضائل كامل الأخلاق جامع الآداب الشيخ أحمد بن حجر ، قاضي الشرع الشريف بقطر ، دام نفعه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصلني الكتاب الكريم والكتاب الذي أهديتم إليّ ، ففرحت به غاية الفرح ، وأعجبني أسلوبه القيم وحسن رونقه وصحة أدلته وبراهينه وكتبت في تقريظه أبياتاً ، ولم أكن أهلا لذلك ، وقدمتها لخدمتكم راجياً العفو عن قصوري لأن بضاعتي في الشعر مزجاة والعفو من شيم السادات مأمول ، وفي الختام تقبلوا غاية شكري .

لقد تصفحت كتاب « الرد الشافي » للعلامة الشيخ أحمد بن حجر البنعلي ، قاضي قطر ، وقرأته فرأيته كتاباً شافياً في بابه فقرظته بهذه الأبيات :

دام للدين عزه ورجاله	كم حمى عن حياضه أبطاله
سرّ قلبي سفر وجيز لطيف	ما يرى مثله ولا منواله
قد تولى تأليفه ذو ذكاء	لا يجازى علاه أو أفضاله
من رياض العلوم ألّف فيه	ثمراً آن ينعه ونواله
كم حوى سيرة النبي المفدى	وتاريخ معجز أجماله
وعلى الهندي قد رد صدقاً	شبهاً ما أصاب فيها خياله
ودفاعاً حقاً وذباً عجيباً	عن مقام الأمّي عز مناله
فشفى وأشفى بردٍ مربع	مقنع مفحم صحيح مقاله

منطق واضح أدلة حق · من كتاب الله جل جلاله

ومن السنة السنية فيه · واضحات المنار اشتد لآله

ومن الراسخين في العلم حاو · حجباً يستبين منها كماله

كيف لا وهو من قريحة حبر · لا يمارى ونادر أمثاله

أحمد بن حجر سليل أبو طامي · جميل طباعه وخصاله

وإلى البنعلي ينمى ويسمى · طاب أصلا وطاب صدقاً فعاله

دام للعلم للتمسك بالحق · وللذب عن حمى الدين قاله

بقلم : **محمد صالح العباسي**

فضيلة الشيخ سـالم بن حمود

القاضي بالمحكمة الشرعية بمسقط

إلى حضرة العلامة الجليل الفهامة النبيل الشيخ أحمد بن حجر البنعلي في قطر .

ســلام عليه ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإن عناية الله ساقت إلينا ردكم الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر ، وتلوته ثلاثة أيام تباعاً غير تارك كلمة ولا حرفاً إلا وقد سرحت طرفي فيه وإذا به جوهر مكنون وسر مصون من ناحية ذاته الخاصة ، وإذا به سهام نافذة في أكباد أعداء الدين الإسلامي ، وشموس مضيئة في عالمنا الاهتمامي ، وإذا بكلماته شهب ثاقبة في غيم غمامة ذلك الطاعن الإيهامي الذي رام أن يدس دسيسته في أذواق البسطاء الذين لا تتصل مداركهم بأعماق النوايا ولا تبلغ معارفهم إلى نهاية تلك الزوايا . ولقد جئت في ردك بما لا مزيد عليه من معقول ومنقول ، ووضحت كلاماً دس ذلك المتغطرس الجهول حتى لم يبق ريب في ذهن كل ذي فكر ، ولم يعزب أي شيء في هذا المقام إلا جئت به حسب المأمول . فالحمد لله الذي جعلك من أنصار الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما سمى الأنصار إلا لنصرهم وقد أخذت حظك وإن تقـدم زمـنهـم فإن لله في خلقـه ظنـائـن وكـم ترك للأواخـر الأوائـل ، أيدك الله وسددك وأرشد بك وأرشدك ، ولما وقفت على عكم الطامي وكنت بمائه العذب ظامي قلت بعد أن ارتويت والله أعلم بما نويت :

أحسنت أحمـد في رد شفيت به   داء عضالا سرى في عالم البشر

قد كان للأغبياء المعجبين به   نهجاً محـوت اسمه من عالم الفطر

أولاك ربك رشداً تهدمن به	بناء بان أخي بغي وذي بطر
أوضحت تزييف رام سوء ينشره	في الناس غر جهول سيء الأثر
أتى بمعوله كي يهدمن به	عرش الهدى فهوى في أعمق الحفر
رميته بسهام منك نافذة	حتى تمزق ثم انهار في سقر
ناصرت أحمد والأنصار ما وسموا	إلا بنصرهم المختار من مضر

أيدك الله وأيد الدعاة إلى الله وإلى شريعته ما داموا وأين كانوا في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها ، ودمتم والسلام عليكم .

العبد لله سالم بن حمود
القاضي بالمحكمة الشرعية بمسقط

بسم الله الرحمن الرحيم

١ الحمد لله الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، والذي أنار الله به الدنيا،وأزال برسالته العامة الشرك من الجزيرة العربية . كما أنقذ الله به أمماً تعد بمئات الملايين من هوة الشرك وحماته ، وظلمة الكفر وجور الرؤساء إلى قمة التوحيد ونور الإيمان وعدل الإسلام وعلى آله وأصحابه الأئمة الكرام .

٢ أما بعد : فقد ورد إليّ من بعض الإخوان الأفاضل سؤال هذا نصه :

« قرأت أخيراً في بعض الصحف الإيرانية[1] مقالاً لكاتب هندي أستاذ في جامعة حيدر آباد ، يزعم أن نبينا محمداً ﷺ لم يكن أمياً كما عليه جمهور المسلمين[2] بل كان مثقفاً كسائر أبناء الأشراف[3] في ذلك الزمان ، وكان يحسن القراءة والكتابة ، ويلجأ الكاتب في زعمه هذا إلى آراء عديدة ، بعضها من تخيلاته الخاصة ، وينسب البعض إلى غيره من العلماء المعاصرين ، كالكتاني من أهل مراكش وبعض الهنود . والقدماء كابن حجر وغيره من العلماء . ويقول : أن هناك بعض وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ قبل النبوة، لو نشرت دلت على صدق قوله .

٣ قال السائل : والذي جعلني أهتم بهذا الموضوع إيراده حديثين ،

---

(١) اسم الصحيفة « اميد إيران » ٥٦٢ والثانية ٥٦٣ ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ ١٣٤٤ شمسية – اسم الشهر إردي بهشت .

(٢) أخطأ الأستاذ في قوله « جمهور المسلمين » أو تعمد الخطأ ليوهم الناس أن هناك من المسلمين من قال كان متعلماً ، وليس الأمر كذلك . بل كل المسلمين على أنه كان أمياً ، ومن زعم كزعم الباجي فلم يخرجه من حيز الأمية كما سيأتي بيانه ببسط شاف .

(٣) يوهم القارىء أن أبناء الأشراف بمكة كانوا متعلمين ، وكأنــه كانت هناك مدارس – كما صرح الهندي في كلامه – وهذا باطل لا أساس له. وسيأتي بيانه إن شاء الله .

أولهما في صلح الحديبية حين أملى عليه الصلاة والسلام المعاهدة على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلم يوافق سهيل بن عمرو سفير المشركين بان يُكتب « محمد رسول الله » فامر النبيّ بان تحذف جملة (رسول الله) ، فاقسم عليٌّ رضي الله عنه بأن لا يحذفها ، فحذفها النبي ﷺ بيده الشريفة ، وكتب بدلاً عنها محمد بن عبد الله .

٤ والحديث الثاني : هو أنه ﷺ أمر معاوية أن يكتب شيئاً فكتب ، فأخذ الصحيفة من يده وأمعن فيها وقال : لقد كتبت ما قلت لك . وأظنه يروي الحديث الأخير عن ابن حجر رحمه الله .

ويفسر الكلمات المذكورة في الآيات القرآنية ، الأميّ ،والأميين. بانها نسبة إلى أم القرى وكذلك كانت صفة لكل عربي غير كتابي، والآية الكريمة : « وَمَا كُنْتَ تَتْلوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ .. » الغرض منها الكتب السماوية فقط .

هذا ملخص ما يدعيه الكاتب .

قال السائل : أرجو أن تتفضلوا بإبداء رأيكم . هل سبقه أحد في هذا الادعاء ؟. وما لفظ الحديثين اللذين يشير إليهما . ويستدل بهما ، وما مدى صحتهما ؟. أهـ ».

٥ ثم طلبت من السائل أن يرسل الجريدتين اللتين نشرتا مقالة الهندي،فتفضل وأرسل بعد شهور الصحيفتين اللتين فيهما مقالة

الهندي باللغة الإيرانية ، فقرئنا عليّ مراراً ، وأمعنت النظر في كلامه فوجدت أن السائل كما ذكر في سؤاله قد أتى بملخص كلامه وأقوى شبهاته .

٦ وحيث قد بقيت بعض شبه واهية مضحكة مبكية ، فلا بأس أن نحيط القارىء بها علماً ، بأن ناتي بنماذج من تلك الشبه الزائفة ثم نقفي عليها بنقضها ودحضها ليعلم القراء مدى علم هذا القائل وجهله ، أو تجاهله وتجاسره على اختلاق ما لم يكن ، وإنكار ما كان ، وإستناده في زعمه على مستندات لا تصلح أن يعتمد عليها ، بل تكون محل إستهزاء وسخرية للقارئين العارفين ، وإليك البيان :

قال الهندي ما ترجمته : قد وقع من الصدر الأول إلى اليوم أخطاء شنيعة في الشريعة ، وأشدها خطأً تصورهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ووظيفته التلقي عن جبريل وإبلاغ القوم فقط ، وهل الأمية شرط للرسالة ؟ وهل كان موسى أمياً .؟ وهل يختار الله للرسالة من يغير في الوحي المنزل إليه ـ إذا كان قارئاً وكاتباً .؟ فإذا كان الجواب بالسلب في الأسئلة الموجهة فلماذا كان الرسول أميًّا من بين الأنبياء، وكأنهم لم يفهموا أن للرسول وظيفة غير التلقي والتبليغ ، بل كانت له وظيفة

أخرى ، وهي تعليم الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم ، وبيان الحكمة في الآيات ، وتطهيرهم من الرذائل . كما قال الله تعالى : « لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »[1] .

ومن المسلم به أن الرسول قد قام بأعباء الرسالة وينبغي أن نرجع إلى المستندات والوثائق التي تساعدنا على إثبات مدّعانا وهو كونه قارئاً وكاتباً ، وهنا أنحي باللائمة على المؤرخين لأنهم ـ على زعمه ـ لم يعتنوا الإعتناء المبغى من حين ولادته إلى حين بعثته .

ثم قـال : وإنه كان يتجر لخديجة (رض) بتجارة عظيمة ، وخديجة كانت من النساء العاقلات العارفات ، فكيف يمكن أن تولي مالها من ليس يقرأ ولا يكتب .؟

وأن مكة المكرمة كانت عاصمة كبيرة ، ومحطة للتجارة ولها مكانتها في التجارة العالمية ، ولها حضارة سامية ، وقد كتب بعض المؤرخين عن حضارتها . فكيف يمكن أن يقال أن مثل هذه المدينة أهلها

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

جهال أميون .؟

قال: وكان النبي في رعاية أبي طالب وكفالته، وكان رجلاً عارفاً، وقد تعلم ابنه علي بن أبي طالب، وقد كان شديد الحب للرسول . فكيف يمكن أن يتعلم ابنه علي، ولا يتعلم محمد .؟

على أنه ليست مكة هي المختصة بوجود المدارس، بل كانت المدينة والطائف بهما مدارس لتعليم البنين مع البنات .

وكيف كان موسى متعلماً ونبينا ﷺ مع كونه أفضل يكون أمياً .؟

وكان من وظيفة الرسول تعليم الناس وإرشادهم وكم حث الرسول على تعلم العلم وتعليمه، حتى فدى بعض أسرى بدر بأن يعلم كل واحد عشرة من الرجال . فإذا كان بُعث للتعليم وقد حث عليه، وبالفعل انتشر العلم والتعليم بسببه . فهل يعقل أن يكون أمياً .!!

وكيف يكون معلماً وهو لا يقرأ ولا يكتب .؟

بل بلغ من اعتنائه بالتعليم أن كانت له مدرسة وهي « الصفّة » مرتبة كترتيب المدارس، يتعلم فيها الأولاد والبنات القراءة والكتابة والأحاديث، ويرسل من المتعلمين أناساً إلى البلدان والقرى. وذكره البخاري في كتابه « مواقيت الصلاة » اهـ .

وما أحببت أن أقدم على الجواب، أولاً : لقصور علمي وثانياً: لوجود من هو أعلم مني . وثالثاً : لا يستحق مثل هذا القائل الرد ، ولا يقام لكلامه وزن .

ولكن السائل قد ألح علي برسائل عديدة يطلب الجواب، كما أني خفت أن تروج بدعته بين الأنام إذا لم يروا من يتصدى لدحض كلامه ورد شبهه .

ولهذا نزلت على رغبة السائل، وسألت الله أن يعينني على هذا المرام ، فشرعت في المقصود بعون الملك المعبود.



تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ الحمد لله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على من أنزل عليه الكتاب ، وعلى الآل والأصحاب .

فأقول وبالله التوفيق ، وبيده أزمة التحقيق أن ما زعمه الهندي من كون الرسول ﷺ كان قارئاً وكاتباً قبل النبوة ، لا نصيب له من الصحة ، ولا مستند له من الواقع ، لا قبل نبوته ولا بعدها ، وسأذكر إن شاء الله تعالى الجواب بالبسط والإطناب مستعيناً بالله، ثم بما ذكره العلماء الأجلاء على اختلاف أصنافهم ، جواباً لا يدع بعد قراءته أن يتسرب إلى السائل وإلى سائر الناس عموماً – أي شك وريب في أميته ﷺ ، وسأدحض بعون الله شبهات الأستاذ الهندي وغيره بالبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة، وأود أن أذكر للسائل

مقدمتين وجيزتين قبل الشروع في الجواب ليكون على بصيرة تامة من هذا الموضوع .

الأولى منهما : في بيان كيد أعداء الإسلام ومحاربتهم له من حين ظهوره حتى الآن .

الثانية : في نبذة تاريخية عن حياة سيدنا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، من حين ولادته إلى التحاقه بالرفيق الأعلى ، لأن معرفة تاريخه ﷺ ـ ولو موجزاً ـ يعين على هذا المرام .

وسميته « بالجواب الشافي الوافر في الرد على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر » .

المؤلف



المقدمة الاولى

٨ إعلم وفقني الله وإياك أن أعداء الإسلام حاربوه في أول ظهوره ، بالسلاح واللسان والافتراءات الكاذبة ، ولكن أبى الله إلا أن يظهر دينه ، ويعلي كلمته ولو كره المشركون. ونصر الله رسوله وأصحابه المؤمنين على أولئك الكفرة والمشركين ، ودخل في دين الله مشركو العرب ، وكثير من اليهود والفرس والصابئين والمسيحيين طائعين راغبين . ولما رأوا عظمة هذا الدين الحنيف ، دين العدل والمساواة والحرية[١] الصحيحة ، والإخاء . دين ضمن للعبد – إن تمسك به – سعادة الدنيا والآخرة ، دين صالح لكل زمان ومكان ، ولكل جيل

---

(١) ليست الحرية بمعنى الإباحية ، كما يفهمه كثير من أهل العصر ممن تأثر بثقافة الغربيين وأنظمتهم . تلك الحرية التي خلعوا بها جلباب الحياء ، ولم يروا للأعراض ولا للعقول قيمة ومعنى ، بإباحتهم الزنا والخمور ، ودعوتهم السافرة إلى خلع الحجاب والستور ، وإطلاق عنان الشهوات .

وأمة ، دين كلما أتى زمـــان وتقدمت العلوم والإكتشافات والاختراعات والصناعات، شهدت بصحته وآرائه العلمية الصحيحة، التي لا يعتورها نقص ولا مخالفة للعقول والواقع ، كما شهدت بتفوقه على سائر الأديان ، وأنه لا سعادة للبشر إلا بالرجوع إليه ، وبالتحاكم إلى كتاب الله وسنة الرسول العظيم ﷺ . ليحل مشاكلهم،ويقضي على إختلافاتهم ، ويحقن دماءهم وأموالهم ، ويجعلهم مرتبطين برباط الإيمان ، كما تنادي به آيات القرآن . كقوله تعالى :

« يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا استَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ[1] ».

وكقوله :

« يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اُدْخُلوا في السِّلْمِ كافَّةً ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ[2] ».

وكقوله تعالى :

« يَا أَيُّها الناسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثىٰ وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقاكُمْ . إِنَّ ٱللهَ

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٨ .

عَليمٌ خَبيرٌ﴾[1].

١٠ وبالرغم من ظهور محاسن هذا الدين الحنيف الملائم لكل أمة وجيل . ما زالت أعداؤه تدبر له المكائد ، وتحيك له المؤامرات للقضاء عليه وعلى أهله، فضلاً عن الحروب التي شنتها عليه ، كحرب المشركين والروم والفرس والصليبيين والتتار .

وتنوعت تلك المؤامرات السافلة ، ولبست لبوساً شتى . فمنها ما ظهرت في مذاهب هدامة ، كالسبئية والخطابية والدرزية ، والبهائية ، والقاديانية .

ومنها ما يقوم به كثير من المستشرقين الذين عنوا بدراسة العلوم الشرقية ، والعلوم الإسلامية بقصد الكيد والدس ، والافتراء والكذب الصريح على الإسلام ونبيّه ، ليشوهوا جمال هذا الدين الشريف ، ويظهروه في غير لباسه الجميل، وقد فعلوا ذلك بما كتبوه في مؤلفاتهم في مختلف العلوم الإسلامية ، كالتاريخ والحديث ، والتفسير . ولهم في أساليب المكر والتضليل ، وتزويق العبارات ، واللف والدوران في تلك الكتابات ما لا يفطن له إلا الناقد البصير .

١١ ومنها الغزو الاستعماري الثقافي ، الذي أدخل في مدارس

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

المسلمين ــ عندما استولى المستعمرون على كثير من الممالك الإسلامية ــ من التعاليم المسمومة الفتاكة التي خرّجت كثيراً من المثقفين، لا يعرفون من الإسلام نقيراً ولا قطميراً، ولا من تاريخ نبيّهم وخلفائه الراشدين، والأمويين، والعباسيين، ولا من تاريخ الحكام فتيلاً، سوى ما قرءوه في المدارس التبشيرية، أو في الكليات والجامعات الغربية، أو في بعض المدارس المنتشرة في الممالك الإسلامية التي رزأت تحت نير الاستعمار، فدس في مناهج التعليم من آرائه الهدامة، وأفكاره المناقضة للإسلام[1] حتى أنه شوه تاريخ الرسول وأصحابه، فأبرز الرسول

---

(١) من تلك الأفكار والمبادىء الضالة المناقضة لتعاليم الإسلام وأسسه، ما يدرّسون الطلاب في بعض الأمصار الإسلامية مذاهب الشيوعية، والاشتراكية، وجعلها من الدروس الآتية في المقدمة، والمنظور إليها بعين الاعتبار. حتى أن كثيراً من المدارس والجامعات لا ترى فيها من تعليم الدين الحنيف أثراً. وإن وجد في بعضها فهو ضئيل جداً أمام العلوم الأخر التي قد يكون في مبادىء بعضها ما لا يتفق والدين الإسلامي. وما يتشدق به بعضهم من أن قراءة هذه المبادىء التي تنكرونها، إنما هي ليطلع الطلاب، فجوابه: لو كان للإطلاع لدرّسوا الردود على هذه المذاهب الضالة، ولوضح لهم أصول الإسلام ومبادئه الحكيمة الرشيدة، ومناقضتها لهذه المذاهب المستوردة، ولبيّن لهم كيف نأخذ من الدين ما ندحض به أباطيل الملحدين والكافرين، ولكن. لا شيء من ذلك !!

وإنما يدرسون لكي ترسخ في أذهانهم هذه العلوم المعوجة المنحرفة المخالفة لجميع أديان الأنبياء والمرسلين، ولأركان العدالة المتفق عليها بين العاقلين.

وأصحابه وخلفاءه الذين جاءوا من بعده في صورة غير صحيحة ، ولباس غير جميل .

١٢ فتخرج النشء الجديد وقد حُشي دماغه ومُلِئَ جنانه بتلك الأساطير التي أملتها عليهم تلك المدارس والجامعات. وكانت النتيجة أن طفق كثير من هذا النشء يستهزىء بالإسلام ، وبعضهم برسوله ، وبعضهم بتعاليمه .

وأخذ هذا النشء يطعن بخناجره المسمومة في صميم الدين . حتى صار بعضهم يستهزىء بالمصلين والصائمين وينكر تعدد الزوجات ، والطلاق ، وتحريم الربَا والخمر ، وجلد الزاني ، وقطع يد السارق . وبعضهم قد صار دهرياً ينكر الإله والدار والآخرة والثواب والعقاب .

١٣ ومن دسائس المستشرقين ، وتلك المدارس التبشيرية ، أنهم يتصيدون الأقوال الشاذة ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة فيتخذونها سلماً لأغراضهم ، وحجة للنيل من الإسلام ، أو من نبيّه عليه أفضل الصلاة والسلام ، ليوهنوا من شانه ومن شان الدين الحنيف الذي هو خاتم الأديان . ما طرق البشر دين مثله ، والذي بهرتهم آياته ومعجزاته ، وخرّت فلاسفتهم على أذقانهم ساجدين له ، ومعترفين

بانه الدين الوحيد الكفيل بسعادة البشر .

١٤ ومن دسائسهم . أنه ﷺ كان يقرأ ويكتب ، وقد ضربوا بالتوراة والإنجيل عرض الحائط ، إذ هما قد نصّا بانه عليه الصلاة والسلام نبيّ أميّ .

قال الله تعالى في سورة الأعراف : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ [١] الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ [٢] وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٣] ».

---

(١) أي : يخفف عنهم ما ألزموا العمل به من التكاليف الشاقة الشديدة في التوراة . كقطع موضع النجاسة من الثوب وإحراق الغنائم ، وتحريم السبت وتعيين القصاص في القتل دون شرع الدية .

(٢) أي : عظموه ووقروه .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

١٥ وكونه أمياً هو من معجزاته الكبرى . فإنه ﷺ لم يتفق له مطالعة كتاب ، ولا مصاحبة معلم . لأن مكة المكرمة لم تكن بلدة العلماء ، ولم يكن فيها مدرسة ، ولا معلم يتعلم منه أحد ، ولا غاب عنها غيبة طويلة يمكنه التعلم فيها . ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم بالوحي الإلهي ، وعلمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم والفنون التي تنبىء عنها أحاديثه [١] ، وتعلمها الناس منه . فكانوا بها أئمة العلماء ، وقادة المفكرين ، ومصابيح الهداية للشرقيين والغربيين . فما من شيء يحتاج إليه الفرد أو الجماعة في الحياتين ، إلاّ للرسول ﷺ فيه قول سديد ، وهدي رشيد ، وبيان شاف في شتى الميادين .

١٦ بهرتهم علومه وحكمته ، وشمائله وخلائقه ومعجزاته ، وسيرته الطيبة الطاهرة . تلك السيرة التي شهدت له بحسنها الأعداء ، فضلاً عن الأحباء . والحق ما شهدت به الأعداء .

فاعيتهم الحيل إلاّ أن يشككوا المسلمين في كتابهم ، وفي نبيّهم ، وفي دينهم . تارة بالاختلافات والافتراءات على الإسلام ورسوله ، وحيناً باعمال المسلمين ، وأخرى بمتشابه الآيات التي تبدو للقاصر – أول وهلة – بأن بينها تعارضاً ، والحال أنها ليست كذلك، بل

---

(١) ذكر القاضي عياض في الشفاء . فصلاً خاصاً في إحاطته ﷺ بعلوم عديدة ، ومعرفته لسائر لغات العرب وغيرهم – وإن كان في معرفة لغة الغير نظر – وسننقل عنه شيئاً من ذلك إن شاء الله .

هي كما قال تعالى . « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ». وأخرى بأحاديث ضعيفة أو موضوعة قد تكلم عليها صيارفة الحديث ونقاده ، وبينوا أنها ضعيفة أو موضوعة . ولا حجة في ضعيف أو موضوع .

١٧ قلنا من دسائس كثير من المستشرقين في عصرنا ، زعمهم أن الرسول ﷺ لم يكن أمياً ، بل كان يقرأ ويكتب .

وقد كتب المستشرقون وزعموا هذا الزعم الوخيم !! وقالوا كان يكتم عن الناس علاقته بالقراءة والكتابة ، ويتظاهر بمظاهر الأمية[١] ليعجب الناس ويدهشهم بعلومه وحكمته ، ويتخذوا أميته دليلاً على صدق نبوته ورسالته . فلعلّ الهندي قد تأثر بثقافة الغربيين والمستشرقين، وتضلع من كتبهم – والله أعلم – ودعمه بقول مسبوق[٢] مبني على مفهوم خاطىء ، فأتى الناس بهذا القول الشاذ

---

(١) لو صح هذا الزعم الفاسد لصح أن يقال أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان يمارس علم الطب خفية ، ويظهر للناس أنه يبرىء الأكمه والأبرص بمعجزته ليؤمنوا بصدق رسالته، ولكن عيسى عليه السلام بريء من هذا الزعم، وكذلك سيدنا محمد ﷺ بريء مما زعمه المستشرقون الحاقدون على الإسلام ونبيه الكريم .

(٢) هو ما زعمه الباجي ومن وافقه ، من أنه ﷺ كتب في صلح الحديبية – محمد بن عبدالله – والفرق بين كلام الباجي، وكلام الهندي فرق شاسع ، وبون كبير كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الباطل الذي لا نصيب له من الصحة ، ولا قيمة له عند ذوي العقول والمعارف الصحيحة ، لأنه قد بناه على شفا جرف هار .

وقد عزز زعمه بما نسبه إلى ابن حجر ، وأن هناك بعض وثائق تتعلق بسيرة النبي قبل النبوّة ، لو نشرت لدلت على صدق قوله. إلى آخر ما قال .

وليته سكت ولم يات بهذا المقال . وسترى نقض مزاعمه عروة عروة لا بحول مني ولا قوة . بل بحول الله وقوته .



المقدمة الثانية

في حياة الرسول ﷺ من حين ولادته إلى إلتحاقه بالرفيق الأعلى كما وعدنا سالفاً .

١٨ نسب الرسول ﷺ

هو محمد [١] بن عبد الله [٢] بن عبد المطلب [٣] بن هاشم [٤] بن عبد مناف [٥] بن قصي [٦] بن كلاب [٧] بن مرة بن كعب [٨] بن لؤي [٩] ابن غالب بن فهر [١٠] بن مالك [١١] بن النضر [١٢] بن كنانة [١٣] بن خزيمة [١٤] بن مدركة [٥] بن إلياس [١٦] بن مضر [١٧] بن نزار [١٨] ابن معد [١٩] بن عدنان .

---

(١) هذا الإسم منقول من صفة ، وهو في معنى محمود . ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار . (فالمحمد) هو الذي حُمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرم : من أكرم مرة بعد مرة . فإسم محمد مطابق لمعناه، والله سماه به قبل أن يسمي=

. . . .

= (١٣) قيل له كنانة : لأنه لم يزل في كنٍّ من قومه . وقيل : لستره على قومه وحفظه لأسرارهم . وكان شيخاً حسناً عظيم القدر ، تحج اليه العرب لعلمه وفضله . كان يأنف أن يأكل وحده ، وكان يقول قد آن خروج نبيٍّ من مكة يدعى أحمد .

(١٤) تصغير خزمـة : وهي المرة الواحدة من الخزم وهي : شد الشيء وإصلاحه .

(١٥) اسمه عمرو : قيل له مدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه .

(١٦) بهمزة قطع مكسورة ، وقيل مفتوحة وقيـل همزة وصل ونسب للجمهور . قيل : سمي بذلك لأن أباه قد كبر سنه ولم يولد له ولد . فلما ولد له هذا الولد سماه « إلياس » وعظم أمره عنـد العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته ، وكانت لا تقضي أمراً دونه . وهو أول من أهدى البدن إلى البيت .

(١٧) ويقال له مضر الحمراء . قيل: لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما « اعني نزاراً » اخذ مضر الذهب فقيل مضر الحمراء . وأخذ ربيعة الخيل فقيل له : ربيعة الفرس . وكان مضر من أحسن الناس صوتاً . وهو أول من حدا للإبل . فإنه وقع فانكسرت يده فصار يقول : يا يداه ، يا يداه ، فجاءت إليه الإبل من المرعى ، فلما صحت وركب حدا .

(١٨) بكسر النون ، قيل : كان يرى نور النبي بين عينيه .

(١٩) قيل له معد . لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل . ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر والظفر . وإلى معد بن عدنان ينتهي النسب المجمع عليه في نسبه ﷺ عند العلماء بالأنساب ، ولا يخرج عربيٌّ في الأنساب عن عدنان وقحطان .

وهذا منتهى النسب الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه واقتصر عليه .

وأخرج إبن سعد في الطبقات من حديث ابن عباس قال : إن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يتجاوز معد بن عدنان . ووقع الخلاف فيما بين عدنان إلى إسماعيل وكان عدنان في زمن موسى عليه السلام .

١٩ نسبه من جهة أمه

هو : محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة

يجتمع نسب أبيه وأمه في كلاب الذي هو الجد السادس للرسول ﷺ .

٢٠ زواج أبيه من أمه

كان عبدالله بن عبد المطلب أحب أبناء عبد المطلب إليه ، فلما بلغ عبد الله سن الزواج اختار أبوه له آمنة بنت وهب . من أشرف بيوت قريش فزوجه إياها . وكان ذلك يوم الإثنين في شهر رجب . فحملت به آمنة يوم دخول عبد الله بها .

وكانت قريش في جدب شديد،وضيق عظيم.فاخضرت الأرض، وأثمرت الأشجار وأتاهم الرغد من كل جانب .

٢١ وفاة أبيه

بعد قليل من الزواج ، خرج عبدالله تاجراً إلى الشام . فلما وصل المدينة وبها أخواله من بني النجار ، أدركته منيته لشهرين من الحمل ، بعدما قاسى من المرض شهراً ، وكانت وفاته في شهر شعبان قبل حادثة الفيل بأربعة أشهر .

٢٢ ولادته

وضعته أمه ﷺ في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر [١] من ربيع الأول عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة. يوافق من الشهور الشمسية عام ٥٧١ م ومن الفصول برج الحمل، ولم تشْكُ أمه من حمله ما يعرض لذوات الحمل من النساء ، ورأت في خلال حمله من البشائر والسرائر ما لا يحصى. ولما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده ، فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة ، وقام يدعو الله

(١) وقيل : في اليوم التاسع . وقيل غير ذلك والمشهور ما ذكرناه .

ويشكره على ما أعطاه .

وفي اليوم السابع ختنه وصنع له وليمة ، وسماه محمداً ﷺ رجاء أن يحمد . فحقق الله رجاءه ، فحمده أهل السماوات وأهل الأرضين .

٢٣ مرضعاته

أرضعته ثويبة الأسلمية عتيقة أبي لهب ، بعد أن رضع من أمه . ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر ــ حسب العادة الجارية إذ ذاك ــ بأن يلتمسوا المراضع لأولادهم من البادية لأمرين :

الأول : البعد عن أمراض الحواضر التي كثيراً ما تصيب الأطفال ، وفي البادية تقوى أجسامهم لما في هوائها من الصفاء والنقاء.

الثاني : أن يكسب الفصاحة من الأعراب .

ومكث عند حليمة إلى أن أتم مدة الرضاع ثم أتت به إلى أمه .

وذكرنا هاتين المرضعتين فقط لأنهما هما المشهورتان . وإلاّ فقد قيل : قد ارتضع من ثمانية من النساء ،منهن ثلاث نسوة أبكار من بني سليم ــ كما في السيرة الحلبية .

٢٤ وفاة أمه

ولما بلغ ﷺ من العمر ست سنوات ، خرجت به أمه إلى أخوال جده عبد المطلب ـ وهم بنو عدي ، من بني النجار بالمدينة ـ تزورهم ، ومعها أم أيمن « بركة الحبشية » التي ورثها الرسول ﷺ من أبيه . فأقامت عندهم شهراً . ثم رجعت به إلى مكة . فلما كانت بالأبواء توفيت أمه آمنة ، فقدمت به أم أيمن بعد موت أمه بخمسة أيام . وتولى كفالته جده عبد المطلب وكان يحبه حبًّا جمًّا .

٢٥ وفاة جده عبد المطلب

ولما بلغ الرسول ﷺ ثمان سنين أدركت جده عبد المطلب الوفاة . وفي مرضه أوصى عليه عمه أبا طالب شقيق أبيه عبدالله . فامتثل أبو طالب واسمه « عبد مناف » الوصية وكفله أحسن كفالة، ورعاه أتم رعاية ، وكان يؤثره على أولاده ويبالغ في إكرامه .

الرحلة الاولى إلى الشام

٢٦ خرج عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة وأخذه معه وكان عمره ﷺ إذ ذاك اثنتي عشرة سنة ، حتى وصل إلى بصرى ، وهي

معدودة من الشام . هنالك اجتمع أبو طالب براهب مسيحي اسمه (بحيرى) في صومعة له . فكان له مع أبي طالب ـ لما رأى معه ابن أخيه ـ حديث ، أي حديث . أشار عليه في حديثه أن يرجع به ﷺ خوفاً عليه من اليهود ، وقال له : إن لابن أخيك هذا شأناً عظيماً ، لما نجده في كتبنا ، ورويناه عن آبائنا .

حرب الفِجار[1]

لخمس عشرة سنة مضت من عمره كانت حرب الفجار بين قريش وكنانة ، وبين قيس عيلان ، وقائد قريش كلها « حرب بن أمية » لمكانته فيهم سناً وشرفاً . وقد حضر ﷺ هذه الحرب ، وكان يجهز النبل لأعمامه ، وبعد إنتهائها وقع حلف الفضول . والمتحالفون هم : بنو هاشم ، وبنو المطلب وبطون أخرى .

تحالفوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من الاجانب ، إلا قاموا معه ونصروه وكانوا على من ظلمه حتى ترد إليه مظلمته. وتمّ ذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي ، وشهده المصطفى ﷺ .

الرحلة الثانية إلى الشام

٢٨ ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة رحل إلى الشام بتجارة

---

(١) راجع تفصيلها في سيرة ابن هشام وغيرها من السير .

لخديجة بنت خويلد ـ وذلك بطلب منهـا ـ وأرسلت معه غلامها ميسرة . وربح في هذه التجارة ربحاً وافراً ، ثم عاد إلى مكة . وبعد هذه الرحلة عرضت السيدة خديجة على الأمين ﷺ أن يتزوجهـا فوافق . وكان سنها أربعين سنة فخطبها له عمه وتم الزواج بينهما قبل الهجرة بثمان وعشرين سنة .

ولما بلغ من العمر خمساً وثلاثين سنة ، بنت قريش الكعبة حين تضعضعت من جراء السيول . وعندما أرادوا وضع الحجر الأسود في مكانه وقع الخلاف بينهم ، وكاد أن يفضي إلى القتال . فحكّموا محمداً ﷺ في هذه القضية ، فحسم الخلاف بحكمة باهرة مما أوجب على قريش أن تذعن لحكمه الصائب الحاسم . وذلك بأن يوضع الحجر في رداء وتأخذ كل قبيلة بطرفه وترفعه ، وعندمـا بلغ إزاء موضعه أخذه ﷺ بيده فوضعه ، وانتهى الشجار .

بعثته ﷺ ونزول الوحي

٢٩ ولما تم له من العمر أربعون سنة ، كان ﷺ يتعبد في غار حراء ـ المعروف اليوم بجبل النور ـ إذ جاءه الوحي في يوم الاثنين لسبعة عشر يومـاً خلت من رمضان قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة ، سنة ٦١٠ م .

وأول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم جاءه جبريل في الغار ـ الآنف الذكر ـ قائلاً له « إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ[1] » ، وبعد أن كرر عليه ثلاث مرات كلمة « إقرأ » وهو يقول لست بقارىء ويضمه في كل مرة إلى صدره ويرسله . قرأ رسول الله ﷺ ما أقرأه جبريل عليه السلام . وسيأتي حديث البخاري الصحيح في كيفية ابتداء الوحي إن شاء الله .

فترة الوحي

٣٠ فَتَرَ[2] الوحي ثلاث سنين ، وحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً . وبينما كان راجعاً من غار حراء وقد استبطن الوادي نودي ، فنظر أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله فلم ير أحداً . ثم نودي فنظر فلم ير أحداً . ثم نودي فرفع رأسه . فإذا الملك الذي جاءه (بحِراء) جالس فوق كرسي بين السماء والأرض . فرعب منه فرجع إلى خديجة وقال : دثروني ، دثروني . فأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ »[3] . ثم حمي الوحي وتتابع .

---

(١) سورة العلق الآية ١ .

(٢) أي : تأخر عن موعد مجيئه . والصحيح أن الوحى فتر خمسة أشهر وأسبوعاً .

(٣) سورة المدثر الآية ١ ــ ٢ .

الدعوة السرية

٣١ كلف النبي ﷺ بحمل أعباء الرسالة في مكة المكرمة وأهل الأرض كلهم بضده - لا سيا - مكة المكرمة لأنها مركز دين العرب، وبها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب.

فالأمر محفوف بشدائد وأخطار، ويحتاج إلى عزيمة جبارة لا تزلزلها الكوارث، ولا يفت في عضدها النوائب. فكان من الحكمة حينئذ أن تكون الدعوة في بادىء الأمر سراً لئلا يفاجىء أهل مكة بما يهيجهم، ويسبب غضبهم.

فكان يدعو كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق، ويعرفونه بتحري الصدق. فأجابه من هؤلاء جمع، سماهم الله ثم التاريخ الإسلامي «بالسابقين الأولين».

وفي مقدمتهم أبو بكر، وعلي بن أبي طالب، وبلال الحبشي، وخديجة بنت خويلد - زوجه -، وزيد بن حارثة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام وغيرهم.

إستمرت هذه الدعوة سراً ثلاث سنين، ودخل في دين الإسلام تلك السنوات الثلاث إثنان وتسعون رجلاً وامرأة. وكان كل من

أسلم يكتم إسلامه خشية أذى المشركين . وكان إذا أراد أحدهم الصلاة ذهب إلى شعاب مكة فصلى هناك .

٣٢ دخوله وأصحابه إلى دار الأَرقم بن أبي الأرقم

وبعد ثلاث سنين من الدعوة دخل معه أصحابه دار الأرقم في الصفاء ، وتعرف الآن « بدار الخيزران » . فكان ﷺ وأصحابه يقيمون الصلاة فيها سراً إلى أن نزل الأمر بالدعوة إلى الإسلام جهاراً .

وأسلم بعد دخول دار الأرقم كثير من سادات قريش منهم : مصعب بن عمير ، وعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب، والحارث ابن قيس بن عدي .

٣٣ الدعوة الى الاسلام جهاراً

وفي السنة الرابعة من البعثة ، أمر الله نبيّه أن يصدع بامره ، ويجهر بالدعوة إلى الدين. بقوله تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ

عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ [1] » .

ثم أمره بإنذار عشيرته الأقربين ، بقوله الحق المبين : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ ، وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [2] » .

فأعلن الرسول لقومه الدعوة إلى الله ، وإفراده بالعبادة ، فلم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ونسب كل من عبدها إلى الضلال ، وجر ذلك إلى تضليل آبائهم ، لأنهم كانوا يحتجون عليه دائماً بأنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم . كما حكى الله عنهم بقوله تعالى : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ [3] » .

وبعد أن دعا عشيرته وأمرهم بالتوحيد . ونهاهم عن الشرك ، وأنذرهم بالعقاب ، دعا سائر البطون القرشية مبشراً ومنذراً ومحذراً من حلول العقوبة بهم إن هم استمروا على هذه الوثنية الممقوتة ، فما كان منهم إلا أن قابلوه بالعناد محتجين عليه بطريقة الآباء والأجداد، ومظهرين السخرية والاستهزاء ، ولما ندد القرآن بتسفيه عقولهم ،

---

(1) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(2) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

(3) سورة الزخرف الآية ٢٣ .

وتضليل خطتهم وحكم عليهم بالشرك والكفران . ضاقت قريش بذلك ذرعاً، وأخذوا يدبرون الخطط للقضاء عليه وعلى هذه الدعوة ليستريحوا ويستمروا على ما هم عليه من عبادة الأوثان ، فتـــارة يمشون إليه معرضين عليه المال ان يرد المال والثروة ، أو يخضعون لأوامره معترفين له بالزعامة إن أراد الرئاسة،أو يجلبون له من يرقيه إن كان به مس من الشيطان – برأه الله .

وحينا يمشون إلى أبي طالب يريدون منه أن يكفه عن هـــذه الدعوة، ويقول المصطفى في الجواب: « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . ثم استعبر وبكى ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فلما أقبل قال له إذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

وكانوا يصفونه بالسحر والكهانة أمام الوفود الآتية للحج ، وفي خلال ذلك شرعوا يعذبون المستضعفين من أصحابـــه بانواع من التعذيب ، ولا يستطيع ﷺ أن يدفع عنهم الأذى .

٣٤ الهجرة الأولى للحبشة

في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية ، عندما رأى

الرسول ﷺ ما بأصحابه من عذاب وسوء حال ، قال لهم لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً .

ففروا إلى الله بدينهم ، فلما وصلوا إلى الحبشة ، أكرم النجاشي مثواهم ، وأعلنوا هناك عبادتهم ، لا يخشون أحداً .

فمكثوا بارض الحبشة بقية رجب وشعبان إلى رمضان ، فبلغهم نبأ إسلام عظماء قريش ، وكان كذباً . فرجع بعضهم وأقام البعض.

٣٥ الخروج من دار الأرقم

وفي السنة السادسة من البعثة، أسلم حمزة بن عبد المطلب،وعمر إبن الخطاب رضي الله عنهما،وما زال عمر بعد إسلامه يراجع النبي في الخروج من دار الأرقم ، حتى وافق على ذلك ، فخرجوا في صفين في أحدهما عمر ، وفي الآخر حمزة (رض) مهللين ومكبرين ، حتى دخلوا المسجد ، فسمى رسول الله ﷺ عمر بالفاروق ، لأن الله فرق به بين الحق والباطل ، وأصاب قريشاً كآبة لم تصبهم مثلها حين رأوا ذلك .

وعندما رأت قريش عزة النبي ﷺ بمن معه وإسلام عمر وغيره أرادوا الفتك به . فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله .

٣٦ كتابة الصحيفة

وفي السنة السابعة غرة محرم ، اجتمعت قريش وكتبت كتاباً وعلقته في جوف الكعبة ، تعاقدت فيه على بني هاشم وبني المطلب : أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوا منهم ولا يبتاعوا ، ولا يقبلوا صلحاً ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتـــل . وشددوا الحصار ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلّا أبا لهب فإنه كان مع قريش ، وأضرت بهم هذه المعاملة القاسية ، حتى أكلوا ورق الشجر من قلة الطعام،ودام الحال على هذه الشدة ثلاث سنوات وهم في الشعب . ثم فرج الله عنهم إذ قيض الله من سعى في نقض الصحيفة. فارتفع الحصار وعاد بنو هاشم وبنو المطلب إلى منازلهم ، وصاروا في تجارتهم ومعائشهم كما كانوا قبل ذلك .

٣٧ الهجرة الثانية الى الحبشة

وفي أثناء الحصار ، واشتداد البلاء ، ولا سيا على المستضعفين ، خرجت طائفة من الصحابة مهاجرة إلى الحبشة لما علموا من حسن معاملة ملكها لمن هاجر ، وفي مقدمة أولئك جعفر بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما . وقد بلغ عددهم ثلاثا وثمانين رجلا

وامرأة . فلما بلغ ذلك قريشاً أرسلوا رجلين[1] إلى النجاشي طالبين إرجاعهم إلى بلادهم ، وأعطوه عطايا له ولبطارقته. ولكن بحمد الله أسفرت بعثتهم عن خيبة وفشل .

لأن النجاشي قد عرف حسن الديانة الاسلامية وبطلان ما تدعيه قريش[2] .

٣٨ موت أبي طالب

بعد الخروج من الشِعب بشهر ، مات أبو طالب بعد أن قام

---

(١) هما : عمرو بن العاص ، وعمّار بن الوليد .

(٢) لأنه عندما زعمت رسل قريش أنهم خرجوا من دين آبائهم . ولم يدخلوا في دين الملك ، ويقولون في عيسى قولاً عظيماً . طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ بعض ما أُنزل عليه ﷺ . فقرأ له أوائل سورة مريم ، فبكى النجاشي وأساقفته حتى اخضلت لحيته بالدموع وقال : إن هذا والذي جاء بـه عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، إنطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما . فدبّر عمرو إبن العاص في اليوم الثاني مكيدة وهي: أنهم يقولون أن عيسى بن مريم عبد فسلهم عما يقولون فيه . وأجاب جعفر نقول فيه الذي جاء بـه نبينا . « هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » . فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما تجاوز عيسى بن مريم مما قلت هذا العود . وقال إذهبوا . فأنتم سيوم . أي : آمنون . ورد على قريش هديتهم .

بكفالة النبي ﷺ ورعايته مدة اثنتين وأربعين سنة . وكان النبي ﷺ حريصاً على إسلامه . ولكن السعادة بيد الله يكتبها لمن يشاء، وقد صح أنه لم يتلفظ بالشهادتين . بل قال عند وفاته : أموت على ملة عبد المطلب .

٣٩ وفاة خديجة

بعد وفاة أبي طالب ببضعة أيام ، وذلك في اليوم العاشر من شهر رجب سنة عشر من البعثة النبوية،توفيت خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين ، فحزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً، لأنها كانت له وزيرة وصدِّيقة وأنيسة ، وقد واسته بمالها ، وعطفت عليه أيام محنته مع قومه ، وكانت تسليه وترق له وتدافع عنه بما تستطيع من قوة ومال وجاه ، ومدة إقامتها معه خمس وعشرون سنة ، فرحمها الله تعالى وجزاها أحسن الجزاء .

٤٠ خروجه إلى الطائف

في شوال سنة عشر من البعثة النبوية ، خرج ﷺ إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه . رجاء أن يقبلوا منه ما جاء به من الله عز وجل ، فلم يقبلوا دعوته ، وأضافوا إلى عدم

قبولهم إغرائهم به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به، ويحصبونه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، وخضبت نعلاه بالدماء، فصلى الله عليه وعلى إخوانه النبيين .

ثم انصرف راجعاً إلى مكة ودخل في جوار المطعم بن عدي .

٤١ الإسراء والمعراج

وفي السنة الثانية عشرة من البعثة ، أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب – على أشهر الروايات – .

أسري به يقظة[١] ﷺ من مكة المكرمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لقوله تعالى : « سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا

---

(١) ولقد أحسن من قال :

لما تعدى عمره خمسيناً ... معراجه كان بها قمينا

بجسمه وروحه قد عرجا ... في يقظة لا في المنام أدرجا

إذ لو وقع الإسراء والمعراج مناماً لما كان هناك داع للتعجب والتكذيب ، وقد قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده » . والعبد : اسم للروح والجسد كما هو واضح .

مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى .. الآية »[1] .

وأما المعراج: فهو صعوده إلى العالم العلوي، فرقى سماءاً سماءاً ، ورأى من آيات ربه الكبرى ما رأى .

واجتمع بآدم ، ويحيى ، وعيسى ، وموسى ، ويوسف ، وإبراهيم ، وفرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس ، ونزل من السماء إلى المسجد الأقصى ، ورجع إلى مكة قبيل الفجر . فقص قصة الإسراء فقط على مشركي قريش فقابلوه بالتكذيب ، واستبعدوا وقوعه منه في بعض ليلة وهم يذهبون شهراً وفي الإياب يأخذون شهراً . وقد أقام الأدلة على صدقه .

فهل ترى فيما نقول ملامة ... ولكن أعمى العين لايبصر البدرا

٤٢

هجرته الى المدينة المنورة

في السنة الثالثة عشرة من البعثة اجتمعت قريش في دار الندوة لما رأوا انتشار الدين الإسلامي ، وهجرة أصحابه إلى المدينة ، وفُشُوّ الإسلام فيها ، وبيعة الأنصار له . فتشاوروا في القضاء عليه ،

---

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

وصمموا على الفتك به . وقد كان الصحابة يخرج الواحد تلو الآخر لواذاً . حتى لم يبق أحد منهم سوى عليّ وأبي بكر رضي الله عنهما . وجاء له الإذن من الله بالهجرة ، فأخّر عليّاً لكي يؤدي الودائع، ونام في فراشه تلك الليلة التي أرادت قريش تنفيذ القتل به .

وخرج هو وأبو بكر ، وأقاما بغار ثور ثلاثة أيام حتى هدا الطلب،فجاءه الدليل وهو عبد الله بن أبي أريقط ـ حسب ما اتفقا معه أن ياتي بالراحلتين ، فركبا وأبو بكر رديفه عامر بن فهيرة ليخدمهما في الطريق ، وقدموا قباء من نواحي المدينة على بني عمرو ابن عوف يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول لثلاث وخمسين سنة مضت من مولده ، الموافق ٢٠ من سبتمبر ٦٣٢ ميلادية .

٤٣

غزوة بدر الكبرى

وقعت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة في اليوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة . وكان عدة من خرج مع الرسول ﷺ ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً . من المهاجرين ستة وثمانون رجلاً ، والبقية من الأنصار ، وعدد المشركين ما يربو على تسعمائة رجل . وكان النصر حليف المسلمين .

وقتل من المشركين سبعون رجلاً، ووقع في الأسر منهم سبعون. واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

٤٤ غزوة أُحد

لما أصيب كفار قريش يوم بدر، وقتل منهم من قتل من عظمائهم ورؤسائهم وشرفائهم، تعاونوا وتكاتفوا على الحرب لإدراك الثأر من الرسول ﷺ وحزبه . فجاءوا بجيش جرار ، وصارت المعركة في جبل أحد شمال المدينة، على نحو من ثلاثة أميال من مسجد الرسول ﷺ يوم السبت في منتصف شهر شوال في السنة الثالثة من الهجرة .

وكان النصر أولاً للمسلمين ، حتى ولى المشركون الأدبار . فلما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ـ بان يثبتوا مكانهم وتركوه طلباً للغنيمة ـ كرّ عليهم المشركون فاصابوا منهم .

وفي هذه الوقعة قتل حمزة بن عبدالمطلب ـ عم رسول الله ﷺ ، واستشهد من الأصحاب سبعون رجلاً ، ولم يؤسر من المسلمين أحد ، وقتل من المشركين عشرون رجلاً .

٤٥ غزوة بني النضير [١]

في السنة الرابعة من الهجرة وقعت غزوة بني النضير من اليهود ، وذلك أنهم أرادوا الغدر [٢] بالرسول ﷺ . ولما علم بذلك حاصرهم بجنده ، وتبرأت قريظة منهم ، واعتزلهم ابن أبيّ بعد أن أغراهم . ولما اشتد الأمر عليهم طلبوا الأمان والخروج من البلاد ، وانتهت بإجلائهم إلى خيبر وأذْرعات وسمح لهم بما استقلت به الإبل من الأمتعة .

---

(١) كان ذلك بعد أحد بستة أشهر . في شهر ربيع الأول .

(٢) وسبب ذلك أن الرسول ﷺ خرج إليهم في نفر من أصحابه ، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيّين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمْري ، فوعدوه بقضاء حاجته ، وخلا بعضهم ببعض ، وتآمروا بقتله ، وقالوا : أيكم يأخذ هذه الرحى ويصعد فيلقيها على رأسه ويشدخه بها . فقال أشقاهم عمرو بن جحاش « أنا » فقال لهم سلاّم ابن مشكم لا تفعلوا . فوالله ليُخبرنَ بما هممتم به ، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه . وجاء الوحي على الفور إليه من ربه بما همّوا به ، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة ، ولحقه أصحابه ، ثم جرى ما جرى ، ونزلت سورة الحشر في ذلك .

٤٦ دومة الجندل[1]

بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً يظلمون من يمر بهم ، ويريدون الدنوّ من المدينة .

فخرج إليهم ﷺ في ألفين من المسلمين وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة . فسار حتى هجم على ماشيتهم فأصاب منها ، فتفرق أهل دومة ، ولم يلق أحداً ، ورجع إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر .

بعد أن قضى خمساً وعشرين يوماً ذهاباً وإياباً .

٤٧ غزوة الخندق

المسماة بغزوة الأحزاب

وفي نفس السنة وقعت غزوة الخندق ـ المسماة بغزوة الأحزاب ، فتحزبت قريش وكثير من القبائل العربية ، وانضمت إليهم اليهود ـ بعد أن نكثوا العهد ـ وهم : قريظة بإغراء حييّ النضيري ، ومكثوا

---

(١) سميت دُومة الجندل : بدومي بن اسماعيل كان نزلها وهي بضم الدال ، ويجوز فتحها . وقال الجوهري : الصواب الضم وأخطأ المحدثون في الفتح .

أكثر من شهر ، وكان عددهم عشرة آلاف ، وعدد المسلمين ثلاثة آلاف ، وحفروا الخندق بإشارة من سلمان الفارسي. وأخيراً دب[1] الخلاف بين الأحزاب ، وأرسل الله عليهم ريحاً شديداً ، وفرق كلمتهم ، وشتت جمعهم ، ورجعوا خائبين .

وبعد انصراف الأحزاب توجه المسلمون إلى بني قريظة ليعاقبوهم عقوبة الخائن ، وحاصروهم خمساً وعشرين ليلة ، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ – حليفهم – فحكم بقتل المقاتلة ، وسبي الأموال والذرية .

فقال رسول الله ﷺ ، لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة . ونفذ فيهم حكم سعد .

---

(١) وذلك أن رجلاً من غطفان يقال له نعيم بن مسعود، جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال : قد أسلمت فمرني بما شئت . فقال : إنما أنت رجل واحد فخذّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة . فذهب إلى قريظة – وكان صديقاً لهم – وأوحى إليهم أن لا يطمئنوا إلى قريش حتى يعطوهم رهائن . وقال لقريش: إن قريظة قد رجعت عن مساعدتها ، وأنهم لا يقبلون منكم إلا برهائن ، إن شئتم أن يحاربوا معكم . وجربت قريش كلام نعيم . فحصل من قريظة ذلك الطلب. فصدقوا نعيماً عند ذاك ، كما صدقت قريظة عندما امتنعت قريش من دفع الرهائن لها . ونجحت حيلته .

٤٨ الحديبية

في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ، خرج النبي ﷺ يريد مكة معتمراً لا ينشد حرباً . وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، فلما وصل الحديبية صده المشركون ، وبعد أخذ ورد انتهى الأمر بالصلح بين الرسول ﷺ وقريش بوضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، ومن أحب أن يدخل في عقد الرسول وعهده فعل ، وكذا إن أراد قريشاً . ويرجع من السنة القابلة لقضاء العمرة .

وفي هذا نزلت « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً »[1] . وسيأتي مزيد بيان عند إيراد شبهة الهندي في كتابة عقد الصلح بين الرسول وبين سفير المشركين سهيل بن عمرو .

٤٩ خيبر

في محرم من السنة السابعة . خرج الرسول ﷺ بعد رجوعه من

---

(١) سورة الفتح الآية ١ .

الحديبية حتى حلّ بساحة خيبر ، ونازل حصونهم ، وصار يفتحها حصناً حصناً ، حتى جاء على آخرها ، وصالح أهلها على أن يبقوا فيها ، ويدفعوا نصف ما يخرج من أرضهم .

وفي آخر السنة خرج عليه السلام بأصحابه إلى مكة ليقضوا العمرة التي فاتتهم في العام المنصرم فوصلها في ذي القعدة ، وبعد قضاء النسك رجع إلى المدينة .

٥٠ فتح مكة المكرمة

في السنة الثامنة في شهر رمضان لما نقضت قريش العهد بمساعدتهم بني بكر على خزاعة الداخلة في حلف الرسول ﷺ .

خرج النبي ﷺ في عشرة آلاف رجل حتى دخل مكة المكرمة، وأذلهم الله له ، ولم يجر حرب تذكر. فازال الأصنام،وأعتق أولئك العتاة الذين سعوا في الإيذاء والكيد ، وأقاموا الحرب . وقال لهم يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء [١] .

---

(١) الطلقاء : جمع طليق . وهو كل من أطلق من قيد أو أسر فضلاً من مالكه وكرماً .

٥١ حنين

ثم سار إلى حنين ، يريد هوازن ومعه إثنا عشر ألفاً . فلما استقبلوا وادي حنين وشرعوا ينحدرون فيه، كانت هوازن وثقيف قد كمنوا في شعابه . فشدوا على المسلمين . قبل أن يهيىء المسلمون صفوفهم. ففر الكثيرون وثبت النبي ﷺ ومعه طائفة من أصحابه، ثم رجع المنهزمون وقابلوا عدوهم ، وهزموهم هزيمة منكرة . وقتل من ثقيف نحو سبعين رجلاً، وجمع المسلمون كثيراً من الغنائم. وبعد انتهاء حنين سار عليه الصلاة والسلام إلى ثقيف بالطائف فحاصرهم مدة ثم عاد بدون أن يفتح الطائف .

فسار حتى نزل الجعرانة فأتاه هناك وفد من هوازن مسلمين ، وطلبوا منه أن يرد عليهم أموالهم وذراريهم ونساءهم ، فوهب لهم ما يخصه وبني عبد المطلب وأشار عليهم بأنه إذا صلى الظهر يسالونه ان يشفع لهم لدى المسلمين في رد ذلك . ففعلوا . فسمح المسلمون لهم اقتداءاً برسول الله ﷺ . وولى على مكة « عتاب بن أسيد » ورجع إلى المدينة .

غزوة تبوك

٥٢ أقام عليه السلام بالمدينة إلى رجب من السنة التاسعة .وفيها أمرهم أن يتجهزوا لغزو الروم. لأنهم أذاقوا المسلمين الشدة في غزوة مؤتة . وسمي هذا الجيش بجيش العسرة . لأنه كان في زمن عسرة من الناس ، وشدة الحر ، وحين طابت الثمار . والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم .

وأنفق الكرام كعثمان وغيره ما يتجهز به ضعفاء الحال . خرج الرسول ﷺ مع الجيش حتى وصل تبوك . وهناك جاءه يوحنه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح ، وأعطى الجزية .

وأتاه أهل جرباء وأهل أذرح وسلموا الجزية ، وكتب ليوحنة كتاب صلح وذمة ، وبعث خالد بن الوليد إلى أكيدر رومة فأسره وجاء به إلى الرسول ﷺ ، فحقن له دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي ـ علي بن أبي طالب بتأدية أول براءة عنه

٥٣ بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحج ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم .

فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين . ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وما بين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم - ان لا يُصد عن البيت أحد ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام - وكان ذلك عهداً عاماً بينه . وبين الناس من أهل الشرك .
فأنزل الله تعالى « بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ، فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَأَنَّ ٱللهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ . وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ـ (أي بعد هذه الحجة) ـ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ

خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »[1] الآيات .

وكان نزول الآيات بعد أن بعث أبا بكر لإقامة الحج للنـــاس . « قيل له يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر » فقال : لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي . ثم دعا علي بن أبي طالب وأمره أن يذهب إلى الحج ، وأن يقرأ على الناس صدر براءة ـ كما قال له ـ وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى . أن لا يدخل الجنة كافر . ولا يحج بعد العام مشرك . ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهـــد فهو إلى مدته .

فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق . فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مامور .فقال: بل مامور . ثم مضيا . فاقام أبو بكر للناس الحج ـ لأنه كان أميراً ـ وبلّغ عليٌّ الناس ما أمره رسول الله ﷺ .

حجـة الوداع

٥٤ وفي ذي القعدة من السنة العاشرة تجهز الرسول ﷺ للحج ،

---

(١) سورة التوبة الآية ٣ .

وأمر الناس بالجهاز له ، وخرج من المدينة لخمس ليال بقين من ذي القعدة ، واستعمل على المدينة « أبا دجانة الساعدي » . وحج معه في تلك السنة مائة الف ، وعلم الناس مناسكهم وسنن حجهم . وخطب الناس خطبته التي بيّن فيها كثيراً من الأحكام الشرعية ، وهدم كثيراً من القواعد الجاهلية . فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : « أيها الناس ، إسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » . وأطنب فيها وبيّن حرمة دماء المسلمين وأموالهم ، وتحريم الربا ، وأداء الأمانة ، ووضع ربا الجاهلية ، ودماء الجاهلية وتحريم النسيء ، وحق الرجل على الزوجة ، والزوجة على الرجل ، وأن كل مسلم أخ للمسلم ، وأنه لا وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ... إلى آخر ما جاء في تلك الخطبة الطويلة التي لو تمسك بها المسلمون سعدوا دنيا وأخرى .

الوفاة

٥٥ في أواخر صفر سنة الحادية عشرة من الهجرة ، إبتدأ عليه السلام بشكواه ، وكان مرضه الحمى ، فاستأذن نساءه بان يتمرض في بيت عائشة فاذنّ له ، ولما رأى شدة المرض خرج إلى أصحابه فصعد المنبر وقال : يا معشر المهاجرين إستوصوا بالأنصار خيراً ، فإن

الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد . وإنهم كانوا عيبتي[1] التي آويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس كإشارة منه لأن يكون خليفة من بعده . وصلى ابو بكر بالناس مدة مرضه .

ولما كان يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هجرية ـ الموافق سنة ٦٣٢ م ـ لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى بعد ان ادى الأمانة ، وبلغ البلاغ المبين ، ونصح الأمة ، وأسس قواعد الشرع المتين ، وكوّن الدين الاسلامي وأكمله بوحي من رب العالمين ، وأسس دولة عربية مستقلة ، ترجف منها الملوك ، وتخضع لها أكابر الدول. فجزاه ربنا أفضل ما جازى نبياً ورسولا. وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجباء . ما أظلت الخضراء ، وأقلت الغبراء .

وعليه فقد عرفت مما سلف أنه بلغ من العمر ثلاثاً وستين وبضعة اشهر. وقد أرينا القارىء من حين ولادته ﷺ إلى حين وفاته ، بصورة مختصرة كأنه يشاهده عليه الصلاة والسلام . فهل مرّ بك أنه قد جلس عند معلم أو قرأ لدى أحد أو اجتمع باحد من العلماء ، او الأحبار ، او الرهبان . حتى يتطرق شك إلى أميته ؟

وقد أوضحنا لك سيرته الشريفة فلم تجد ولن تجد أنه حرج ﷺ من حيز الأمية وأصبح قارئاً ، وكاتباً. بعد أن لم يكن يقرأ ويكتب ،

(١) موضع ثقتي وسري ، والعيبة في الأصل ما يجعل فيه الثياب .

لأن مكة لم يكن بها عالم أو معلم ـ كما ذكرت التواريخ ـ وسيأتي النقل إن شاء الله تعالى . فلو وجد ما ذكر لسجله المؤرخون .

ولما كان ورقة بمكة وكان قد تنصر وقرأ الإنجيل ، وكتب بالعبرانية ما أغفل ذكره المؤرخون ، ولكن ، لم يذكروه بأنه كان أستاذاً أو ذا مدرسة ، أو تتلمذ عليه أحد ـ ولو في بيته كما لم يذكروا غيره .

٥٧ ونحن إذ ذكرنا سيرته الشريفة نقول: إن أهل السير والتواريخ لم يهملوا من شؤون حياة النبي ﷺ وأحواله وأخباره كلها .حتى لقد وصفوه في قيامه وجلوسه من النوم . وهيئته في ضحكه وابتسامته وعبادته في ليله ونهاره،وكيف كان يشرب،وماذا كان يلبس ،وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم،وما كان يحب من الألوان ومن الطيب، وما هي حليته وشمائله ، وقد وصفوا جسده الطاهر وصفاً كاملاً ـ كأنك تراه ـ ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل ووصفوا ذلك ، كما وصفوا الوضوء والصلاة . وأستعرض للقراء فهرس أقدم كتاب في الشمائل للترمذي . ليعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبي ﷺ وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها ، خطيرها وحقيرها ، كثيرها وقليلها ، كما نقله في الرسالة المحمدية ورتبه كالآتي :

٥٨ باب ما جاء في حلية النبي ﷺ :

في ذكر شعره ، في ترجله ، شيبه ، خضابه ، كحله ، لباسه، عيشه ، خفـه ، نعله ، خاتمه ، صفة سيفه ، درعه ، مغفره ، عمامته ، إزاره ، مشيته ، تقنعـه ، جلسته ، فرشه ووسادته . ما جاء في اتـكائه ، صفة أكله ، خبزه ، إدامه ، وضوئه ، مـا يقوله قبل الطعام وبعده ، قدحه ، فاكهته ، شرابه ، صفة شربه ، تعطره وتطيبه ، كيف كان كلامـه ، إنشاده الشعر ، مسامرته وقصصه ، نومه ، عبادته ، ضحكه وتبسمه ، مزاحه ، صلاتـه بعد طلوع الشمس ، تطوعه في بيته ، صومه ، تلاوته القرآن ، بكاؤه وخشوعه ، فراشه ، تواضعه ، أخلاقه ، أسماؤه الكريمة ، معاشرته ، سنه ، وفاته ، ميراثه ، حجامته .

٥٩ فهل مرّ بك ايها القارىء الكريم ممـا استعرضناه من أحواله الشريفة ، وشمائله المنيفة . وقليل خبره وكثيره ، تعلُّمُه[1] وأستاذة ، وكتابته وقراءته من كتاب . أو كتابة رسالة لصديق ، أو لملك ، او لزعيم قبيلة . ولكن لا شيء من ذلك حتى يكتبه العلماء . فلو كان شيء من ذلك لكان أولى بالضبط والنقل من فراشه وحجامته وقدحه وفاكهته مثلاً .

---

(١) فاعل مرّ .

٦٠ وما أدري بماذا يجيب الأستاذ وقد اعترف ان أهل العلم قد اعتنوا بعد نبوته به وأحصوا أحواله كلها . ولم يهملوا جليلاً ولا حقيراً من أحواله ، وكم دوّن أهل السير من مؤلف في هذا الباب . ولم يذكروا شيئاً مما زعمه .

وإذا انتهينا من ذكر سيرته العاطرة وشمائله الرفيعة الطاهرة، فلننقل للقراء الكرام تفسير « الأمي » من قواميس اللغة العربية المشهورة المتداولة من مؤلفات القدماء والمحدثين ، لتتضح حقيقة الأمر والحال ، ولا تروج ترهات أهل الزيغ والضلال ، وإليكم البيان والله هو المستعان .



٦١ القاموس المحيط

وشرحه : تاج العروس

جاء فيه . الأميّ ، والأمّان : من لا يكتب ، أو : من على خلقة الأم ، لم يتعلم الكتابة ، وهو باق على جبلته .

قال في تاج العروس تحت قوله : « وهو باق على جبلته » وفي الحديث « إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب » : أراد ﷺ أنهم على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى.

وقيل لسيدنا محمد ﷺ الأميّ : لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب. فبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب . أ هـ .

٦٢ لسان العرب

في الجزء الثاني عشر منه ص ٣٤ . الأميّ : الذي لا يكتب قال الزجاج : الأميّ ، الذي على خلقة الأم لم تتعلم الكتابة ، وهو على

جبلته . وفي التنزيل العزيز : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ[1] ».

وكانت الكتابة في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة ، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار .

وفي الحديث « إنا أمة أمية[2] لا نكتب ولا نحسب » . أراد أنهم على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى .

وفي الحديث « بعثت إلى أمة أمية » . قيل للعرب الأميون : لأنّ الكتابة فيهم عزيزة أو عديمة.

ومنه قوله تعالى : « هُوَ ٱلَّذي بَعَثَ في ٱلأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِنْهُمْ[3] » .

وقيل لسيدنا محمد ﷺ الأميّ : لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، فبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب .

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم. تحت باب قول النبي ﷺ « لا نكتب ولا نحسب » في رواية ابن عمر ، وتتمة الحديث . الشهر هكذا ، وهكذا يعني مرة ٢٩ ومرة ٣٠ .

(٣) سورة الجمعة الآية ٢ .

وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزله الله عليه . فلم يغير ولم يبدل ألفاظه. وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، زاد فيها ونقص فحفظه الله على نبيه كما أنزله ، ففي ذلك أنزل الله : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ من كِتَابٍ ، وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ[1] » أي : الذين كفروا ، ولقالوا أنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة ، فحفظها من الكتب .

تعليـــق :

عبّر بالمضارع ليدل على الحال والاستقبال ، أي أنك لا تكتب الآن ولا فيما يأتي من مستقبل الزمان ، والخطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - .

كما نفى بصيغة الماضي في قوله : « وما كنت تتلو » ، ومعلوم أن مَن لا يقرأ لا يكتب . . لا العكس ، أي من يخط يقرأ . والنتيجة المستفادة من الآية : أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يقرأ ولم يخط فيما مضى ولا في الحال ولا في الاستقبال .

٦٣ المنجد[2]

قال فيه : الأمي . من لا يعرف القراءة والكتابة .

٦٤ معجم متن اللغة

الأمي : الذي لا يكتب ، ولا يقرأ المكتوب « ج » أميون .

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

(٢) لم يتوسع مؤلفه « لويس معلوف » في الموضوع لسبب لا يخفى .

٦٥ المعجم الوسيط

ج ١ : ص ٢٧

الأميّ : نسبة إلى الأم ، أو الأمـــة ، ومن لا يقرأ ولا يكتب ، والعيي الجافي . اهـ .

٦٦ وفي القاموس الاسلامي

تاليف أحمد عطية ، الصادر في غرة محرم سنة ١٣٨٣ هـ

قال في مادة ، أم . وأميّ .

الأميّ : لغة وإصطلاحاً . هو الذي لا يكتب ، أو الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب . وذكر أن الأميّ نسبة إلى الأم. أي : أنه بحال ولدته أمه من السذاجة . وجاء ذكر الأمي والأميين في القرآن في ستة مواضع منها قوله تعـــالى في سورة البقرة مشيراً إلى اليهود :
« وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ[1] » .

وفي سورة البقرة: « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ[2] ».

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

ونعت الرسول بالأميّ . ذلك أن النبي كان لا يعرف القراءة والكتابة . وإليه تشير الآية في سورة الأعراف : « فَآمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ [1] » .

وفي سورة العنكبوت : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ [2] » .

لهذا اعتبر القرآن من معجزات الرسالة لأنه أوحي به على لسان نبي أميّ .

ولو ذهبنا نستقصي كتب اللغة ، لطال بنا المقال . ولما وجدناها إلا على هذا المنوال الذي أوردناه من هذه الكتب . لا سيما القاموس المحيط وشرحه ، ولسان العرب . تلك الكتب التي قلّ أن يجاريها غيرها . وفي هذا القدر كفاية .

---

(١) سورة الأعراف الآيه ١٥٨ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٨ .

الأمة العربية التي بعث فيها رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . كانت أمة أمية لا تحسن القراءة والكتابة - إلا أفراداً قلائل، يعدون بالأصابع - كما سلف لك النقل عن لسان العرب .

والأمم كلها شاهدة على أميتهم ، والتواريخ ناطقة بذلك . وأصبحت مما يعرفه الخاص والعام . والقرآن يصرح بذلك كما يقول تعالى في سورة الجمعة : « هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [1] ».

قال : في كتاب الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي . لمحمد هاشم عطية تحت عنوان « الخط العربي ونشأته » :

٦٨ إن الكتابة من الصناعات الحضرية التي تلازم الملك . وتقوم مع حضارة الأمم المتمدنة ، ولهذا لم تفش هذه الصناعة في العرب إلا بعد ظهور الإسلام ، حين اجتمعت لهم أسباب الملك ، وصارت لهم دولة ذات قوة وسلطان .

٦٩ وكان رسول الله ﷺ أول من عمل على إفشاء هذه الصناعة، ونشر

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .

تلك المدنية الجديدة بين المسلمين بما فرضه على غير الأميين من أسرى بدر ان يفتدي الأسير منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة. فشاعت هذه الصناعة ، وانتشرت بعد ذلك مع المسلمين في أقطار الأرض .

٧٠ أما قبل الإسلام فكانت الجزيرة العربية – عدا بلاد اليمن وبعض الجهات الشمالية – خلواً من هذه الصناعة .

٧١ ومن بلاد اليمن انتقل الخط مع كِندة ، وهم بطن من كهلان ، حين هاجروا إلى دار معد . وانتقل أيضاً إلى النبط. وهم جيل عربي كان في بلاد مدين وسيناء وفلسطين وحوران ، قبل الميلاد وبعده . ومن كنده ونبط تعلمه أهل الحيرة والأنبار . ونقله – بإجماع المؤرخين – إلى مكة حاضرة الحجاز حرب بن أمية ، قبيل الإسلام بقليل[1] .قيل : أنه تعلمه من بشر بن عبد الملك أخي أكيدر صاحب دومة الجندل الذي قدم معه إلى مكة ،وتزوج بنته الصهباء ،وعلم عدداً من أهلها الكتابة. منهم عمر بن الخطاب ،وعثمان بن عفان ،وأبو عبيدة .. الى آخره .

---

(١) تأمل قوله : « ونقله بإجماع المؤرخين إلى قوله « بقليل » وقارن بينه وبين قول الهندي : ان هناك وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ قبل النبوة لو نشرت لدلت على صدق ما يقول . أي : وهو كونه مثقفاً .

والحال أن الكتابة نقلها حرب قبيل الإسلام ، لا قبل . ولفظة قبيل تدل على الزمن القريب ، كما تقول : قبيل الفجر ، أو قبيل طلوع الشمس . أي : قبل أن تطلع بزمن قريب جداً .

قــــال في :

فجر الاسلام

٧٢

الباب الخامس تحت عنوان « الحركة العلمية » - الأمية :

تركنا العرب في الجاهلية ، وليس لهم علم ولا فلسفة ولم يكن بينهم من يصح أن يسمى عالماً . وقد كان الجهل فاشياً فيهم ، والأمية شائعة بينهم . خصوصاً في الأقطار البدوية ، لأن الكتابة والعلم إنما يكثران حيث يكثر العمران . ويقول ابن خلدون: إن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة،وهؤلاء تعلموها من الحميريين ـ وسواء صح أو لم يصح ـ فالحجازيون والمضريون عموماً كانوا أشد بداوة

٧٣ وأكثر أمية . حتى يروي لنا البلاذُري في كتابه (فتوح البلدان): أن الاسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً يكتب . وعدَّ منهم عمر وعلياً وعثمان وأبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان .

٧٤ وإذا كانت قريش وشأنها في الحجاز ما بيّناه قبل ـ من تقدمها في الشؤون التجارية ـ ليس فيها إلا سبعة عشر كاتباً ، وكان الكاتبون في غيرها في القبائل المضرية أندر . وفي الأوس والخزرج كان قليلاً . فجاء الاسلام وفيها أحد عشر كاتباً ، ولندرة الكتابة كانوا يلقبون من جمع بين معرفة الكتابة والرمي والعوم «بالكامل» .

فلقبوا بهذا اللقب سعد بن عُبادة ، وأسيد بن حضير .

٧٥ فلما جاء الإسلام استكتب رسول الله ﷺ بعض هؤلاء الذين كانوا يعرفون الكتابة ، لكتابة ما ينزل من القرآن .

فكان أول من كتب له مقدمه المدينة أبي بن كعب الأنصاري ، وإذا لم يحضر دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فكتب له .

وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يديه. ورسائله إلى من يكتب له.

٧٦ وأول من كتب له من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد ، ثم كتب عثمان ، وشُرحبيل بن حسنة ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان . انتهى ملخصاً .

٧٧ قال العلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى في كتابه « بلوغ الارب » تحت عنوان « كتابة العرب في الجاهلية » .

قال : أول من كتب مراد بن مرة ، وأسلم بن مرة ، وعامر إبن جدرة، وهم من طيء. تعلموه من كاتب الوحي لهود عليه السلام. ثم علموه أهل الأنبار ، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة .

٧٨ ونقل عن ابن خلدون قائلاً : إن الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق ، وإن أكثرهم كانوا أميين ، ولا سيا سكان البادية ، لأن هذه الصناعة من الصنائع التابعة للعمران .

٧٩ وأما مضر فكانوا أعرق في البداوة ، وأبعد من أهل الحضر من أهل اليمن ، وأهل العراق والشام ، فكان الخط العربي لأول الإسلام ، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة . ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة ، وبعدهم عن الصنائع . ثم قال : وأعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم. إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية. والكمال في الصنائع إضافيّ ، وليس بكمال مطلق. إذ لا يعود نقص على الذات في الدين ولا في الخلال ، وإنما يعود على أسباب المعاش .

٨٠ وقد كان النبي ﷺ أمياً ، وكان ذلك كمالاً في حقه ، وبالنسبة إلى مقامه الشريف . وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها، وليس الأمية كمالاً في حقنا نحن. إذ هو منقطع إلى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شان الصنائع كلها . حتى العلوم الإصطلاحية فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها بخلافنا .

وفي العقد الفريد

ج ٤

٨١ أول من وضع الخط العربي والسرياني ، وسائر الكتب ، آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة[1] سنة

---

(١) ليس على هذا القول دليل يصح الاستناد عليه . بل هو من قول كعب الأحبار .

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم .

وعن ابن عباس : أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، وكان أول من نطق بها[1] .

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية في مكة غير سبعة عشر إنساناً . وعدَّهم .

٨٢ وأتى بتفسير الأمي بنحو ما سلف من قواميس اللغة . ثم قال : قال المأمون لأبي العلاء المنقري: بلغني أنك أمي ، وأنك لا تقيم الشعر وأنك تلحن في كلامك .

فقال يا أمير المؤمنين. أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي أمياً ، وكان لا ينشد الشعر.

فقال المأمون : سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي ﷺ فضيلة. وفيك وفي أمثالك نقيصة . اهـ

---

(١) الرواية عن أبي ذر ضعيفة ، كما تدل عليه الصيغة ، روي « المبنية للمجهول » . والله أعلم بالحقيقة .

تاريخ آداب اللغة العربية

(لجرجي زيدان) ج ١ « الخط العربي وتاريخه »

٨٣ ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة . إلا قبيل الإسلام . مع أنهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بأمم من العرب خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة . وأشهر تلك الأمم حمْيَر في اليمن . كتبوا بالحرف المسنَد [١] . والأنباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي . وآثارهم باقية إلى هذه الغاية في ضواحي حوران والبلقاء . ا ـ هـ .

---

(١) الكتابة الحميرية : وهي المسند ، بفتح النون ، من آثار حضارة الملوك الحميريين . ولكنها كانت قبل الإسلام بقرون ، والآثار الباقية كانت ضعيفة جداً . بل قال ابن خلكان ، في كتابه « وفيات الأعيان » ج ١ ص ٣٤٦ : وكان لحمير كتابة تسمى المسند ، وحروفها منفصلة غير متصلة . وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم . فجاءت ملة الإسلام وليس باليمن من يقرأ ويكتب . اه .

على أنه لا يعقل أن تخلو مدينة من كتّاب عارفين — حتى الحجاز — ولكن الشيء الذي نقوله : هو أن الأمية كانت غالبة على الحجازيين ، بصفة خاصة . وعلى العرب كلهم ، بصفة عامة . بخلاف سائر الأمم كالفرس ، والروم ، والهند ، والاسرائيلين .

٨٤ فجاء الإسلام والكتابة معروفة في الحجاز ، ولكنها غير شائعة. ولم يكن يعرف الكتابة في مكة إلا بضعة عشر إنساناً ثم عدهم .

٨٥ ولم يذكر أحد من المؤرخين أن النبي عليه الصلاة والسلام كان من أولئك الذين تعلموا الكتابة .

٨٦ والحاصل أن الأميَّة في العرب ، ولا سيا أهل الحجاز مشهورة ـ بإطباق أهل التواريخ ـ وندرة الكتابة فيهم غير خافية . لأن الكتابة والعلم تابعان للحضارة والعمران . وكلما كانت البلاد متقدمة كانت العلوم فيها منتشرة ، والكتابة فيها متفشية .

لهذا لما كانت اليمن في دولة التبابعة بلغت من الحضارة والترف شأواً بعيداً ، انتشرت الكتابة فيهم بالخط الحميري [١] وانتقل منها إلى الحيرة . وقد سبق النقل عن ابن خلدون : أن الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق . وكفى بابن خلدون علماً وإطلاعاً بالتاريخ . فإنه من الأعلام الأفذاذ ومن رجاله البارزين ، ونقاده الحاذقين ، ومهرته الفائقين . وهو في التاريخ كالبخاري في الحديث . لا يختلف في علمه الواسع بالتاريخ اثنان . ولا يجادل في إمامته في هذا الفن إنسان . كما مر بك أن أول من تعلم الكتابة من أهل مكة

---

(١) قد سبق في التعليق على كلام جورجي زيدان . النقل عن ابن خلكان عن حالة اليمن في القراءة والكتابة عندما جاء الإسلام .

هو حرب بن أمية . تعلمها من بشر بن عبد الملك . وعندما أتاهم الإسلام كان الكاتبون بمكة سبعة عشر رجلاً [1] انظر أسماءهم في التعليق. فهل تجد إسم الرسول ﷺ في السبعة عشر المحررة أسماؤهم؟

٨٧ فهل يعد هؤلاء الكتاب المحصورون في هذا العدد في بلد أهلها يعدون بالألوف ، شيئاً ؟ .

بل ولو كان الكتّاب ضعف هذا العدد أو ضعفين والبلاد يقطنها ألوف من الناس ، لا يعدون شيئاً بإزاء الأميين . هذا على الفرض والتقدير ، وإلا فقد أحصاهم المؤرخون بالعدد السالف الذكر فقط لا غير .

٨٨ وهل تعلُّم هؤلاء المذكورين الكتابة يخرج أهل الحجاز ، او أهل مكة عن وصف الأمية . والحكم للأغلبية كما هو مقرر لدى أهل العقول والعلوم ؟!!

---

(١) أكثرهم من كبار الصحابه وإليك عددهم : ١ – علي بن أبي طالب ، ٢ – عمر بن الخطاب ، ٣ – طلحة بن عبيد الله ، ٤ – عثمان بن عفان ، ٥ – أبان بن سعيد بن العاص ، ٦ – يزيد بن أبي سفيان ، ٧ – حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ٨ – العلاء بن الحضرمي ، ٩ – أبو سلمة بن عبد الأسد ، ١٠ – عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ١١ – حويطب بن عبد العزى ، ١١ – أبو سفيان بن حرب ، ١٣ – معاوية بن أبي سفيان ، ١٤ – جهينة بن الصلت بن مخرق ، ١٥ – أبو عبيدة بن الجراح ، ١٦ – خالد بن سعيد بن العاص. ١٧ – ابو حذيفة بن عتبة .

٨٩ وإذا عرفت هذا فلا يشتبه عليك ما سيمر بك في كتاب صلح الحديبية . حينما يقول الرسول ﷺ لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . ويقول سهيل اكتب « باسمك اللهم » .

كما لا يشتبه عليك ما مرّ من أن قريشاً اجتمعوا وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، مضمونها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وحصارهم في الشعب . حين يقال : لو كان هؤلاء لا يعرفون الكتابة فكيف كتبوا الصحيفة . وكيف كتب عليٌّ عقد الصلح في الحديبية ؟

لأنا نقول: لا نكر ان ان عدداً قليلاً تعلموا الكتابة قبيل الإسلام، وقد ثبت إحصاء المؤرخين لهم بما مرّ . فلا تغفل .

٩٠ وإذن بين ما نقلناه عن المؤرخين من ندرة الكتابة في العرب ـ ولا سيما كلامهم في أمية الرسول ـ وبين قول الهندي ـ هداه الله ـ « لم يكن أمياً، بل كان مثقفاً كسائر أبناء الأشراف في ذلك الزمان » . بون شاسع .

فكأن أبناء الاشراف كانوا متعلمين .!!

فليتفضل الاستاذ بذكر المدارس التي كانت بمكة [1] أو بالطائف

---

(١) سيأتي في آخر الرسالة الرد على الهندي فيما كابر وباهت ، وافترى على الواقع والتاريخ ، وتلاعب بعقول الأمم ، فزعم بوجود مدارس بمكة والطائف والمدينة للبنين ومدارس للبنات .

او بالمدينة او بالقطر الحجازي او بجزيرة العرب . أو على الاقـل الكتاتيب التي كانت تعلم الناس ، أو أبناء الاشراف كما زعم .

وإلا فقوله باطل ليس عليه شبهة الصواب ، فضلاً عن الحجـة والدليل .

فصل

٩١ حيث أن الهندي ذكر كما يقول السائل : ان هناك وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ قبل النبوة . لو نشرت لدلت على صدق قوله .

أي: بانه كان الرسول متعلماً . ولم يكن أمياً .فسانقل عن صحيح الإمام البخاري « كيفية بدء الوحي » لدحض شبهة الهندي . وهاك نص الحديث :

٩٢ قال البخاري رحمه الله : حدثنا يحيى بن بَكير . حدثنا الليث ابن عُقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين انها قالت : « أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي [1] الرؤيا

---

(١) للوحي معنى عام يطلق على عدة صور . منهـا : الاعلام الخفي الخاص الموافق لوضع اللغة . ومنها : الرؤيا الصادقة . ومنها : النفث في الروع ، =

الصالحة في النوم [١]. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [٢].

ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء . فيتحنث ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى أهله ويتزود بذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما أنا بقارىء . فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني . وقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذني وغطني [٣] الثانية حتى بلغ مني الجهد [٤] . ثم أرسلني . وقال إقرأ.

= والإلهام . وإلقاء الملك . وله معنى خاص هو أحد الأقسام الثلاثة ـ التكليم الإلهي الوارد في قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌ حكيم » . ثم أن البخاري أخرج هذا الحديث أيضاً في كتاب التفسير تحت رقم ٤١٥٣ . لكن ساق هناك المتن بإسنادين : الأول : هو الذي ساقه في أول الكتاب وذكرناه ههنا . والثاني : من رواية سعيد بن مروان . إلى ان قال أخبرني إبن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة زوج النبي قالت « كان أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم » . الحديث . كما ذكر هذا في كتاب التعبير .

(١) ذكر النوم بعد الرؤيا المخصوصة لزيادة الايضاح ، او لدفع وهم مَن يتوهم ان الرؤيا تطلق على رؤية العين ، وهو صفة موضحة . او لأن غير الصالحة تسمى حلماً . وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر . .

(٢) اي : في الوضوح .

(٣) اي : ضمني وعصرني .

(٤) بفتح الجيم ونصب الدال . اي : بلغ الغط مني غاية وُسعي . وروي بالضم والرفع ، اي بلغ من الجهد مبلغه .

فقلت ما انا بقارىء . فاخذني وغطني الثالثة . ثم أرسلني فقال « إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ . خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ . إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ » .

فرجع يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال : زملوني زملوني[1] . فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسي » . فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ[2] ، وتكسب المعدوم[3] ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى « ابن عم خديجة » وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ .

---

(١) بكسر الميم مع التكرار مرتين . وهو التلفيف ، وذلك لشدة ما لحقه من هول الأمر المخالف للعادة .

(٢) بفتح الكاف وتشديد اللام : وهو الذي لا يستقل بأمره كما قال الله تعالى : « وهو كَلٌّ على مولاه » .

(٣) بفتح التاء . اي : تعطي الناس من ما لا يجدونه عند غيرك .

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس [1] الذي أنزله الله على موسى . يا ليتني فيها جذعا [2] ليتني أكون حيّاً إذْ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ : أوَمخرجيَّ هم ؟

قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك [3] نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب [4] ورقــة ان توفي ». اهـ.

ففي قوله (ما انا بقارىء) [5] بدخول الباء الجارة ما يفيـــد

---

(١) بالنون والسين المهملة ، وهو صاحب السر . والمراد : جبريـــل عليه السلام وأهل الكتاب يسمونه الناموس الأكبر .

(٢) بفتح الجيم والذال ، وبالنصب . خبر كان المقدّرة عند الكوفيين أو على الحال من الضمير المستكن في خبر ليت . أي : ليتني كائن فيها حالة الشبيبة والقوة لأنصرك .

(٣) مجزوم بجواب الشرط ، ومعنى مؤزراً : قوياً بليغاً .

(٤) أي : لم يلبث .

(٥) « فما » هنا حجازية تعمل عمل « ليس » . و « أنا » ضمير رفع منفصل مبني على السكون اسم ليس . و (بقارىء) : الجار والمجرور خبرها والظاهر أن الأمر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف. أي : كن قارئاً لما يتلى عليك. ولذلك قال له في الثالثة : اقرأ باسم ربك أي: كن قارئاً بإسمه ومن قِبَله ،وبإقداره =

التقوية والتاكيد . والتقدير : لست بقارىء البتة .

فإذا سمعت قوله ﷺ ما انا بقارىء [1] ثـــلاث مرات بالنفي الصريح ، وقارنته بكلام الأستاذ ـ ان هناك بعض وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ ـ قبل النبوة .. الخ . تجد التكذيب الصريح للنبي عليه الصلاة والسلام حيث يقول : (ما انا بقارىء) ويكرره ثلاثاً . ويقول الهندي : كان مثقفاً .. الخ .

٩٤ وما أدري كيف يتفوه مسلم استاذ بهـذا الكلام . وهو يرى صحاح الأحـاديث ، ويفهم ان المسلمين واليهود والمسيحيين ، والمشركين مجمعون على أمية النبي ﷺ . إلا شذاذاً من المستشرقين الذين دأبهم مناوأة الإسلام ونبيه والكيد له .

٩٥ ولا يشفع لحضرة الأستاذ ما ياتي عن الباجي وشيخه أبي ذر الهروي ، أنهما زعما أن الرسول ﷺ كتب بيده الشريفة « محمد بن عبد الله » بدلا عن « محمد رسول الله » في صلح الحديبية .

= إياك على القراءة لا بحولك وقوتك . فهو يعـلم أنك أميّ لا يتعلق كسبك واستطاعتك بالقراءة . أما وقد شاء ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق : وهو الحيوان المنوي، أو أول ما تتحول إليه نطفة الزوجين بعد العلوق فجعله بشراً سوياً يسمع ويبصر ويعقل. شاء أن يجعلك قارئاً لما يوحيه إليك لتقرأه على الناس.

(١) وفي بعض الروايات (ما أقرأ) و « ما » هنا تحتمل النفي والاستفهام او يترجح النفي للرواية التي ذكرناها . وفيها لست بقارىء .

لأن الهندي يزعم أن هناك وثائق تتعلق بسيرة النبي قبل النبوة.
وهذه الكلمة التي زعمها الباجي ومن وافقه. إنما هو في صلح الحديبية في سنة ست من الهجرة،وبناه الباجي على فهم خاطىء وردّه العلماء. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٩٦ وههنا أمر ثان يكشف لك الأمر بوضوح . وهو أن الرسول ﷺ لو كان متعلماً قبل النبوة كما زعم الهندي ، لكان قد علم نزول الوحي على الأنبيـاء ، ولما هـدأت روعه السيدة خديجة (رض) وطمانته بانه متصف بتلك الخصال التي من شأنهـا أن لا يجزي الله المتصف بها ، ولما احتاج أن يذهب مع خديجة إلى ورقة بن نوفل ، ويخبره ورقة بان هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى . وهـذا بيّن لا لبس فيه .

٩٧ وما أدري ما الفائدة في نشر هذا القول المخالف لصريح الكتاب والسنة ، ولإجماع المسلمين في كل العصور .

هذا القول الذي يفتح المجال والباب على مصراعيه للتشكيك في معجزةٍ هي من أكبر معجزاته ﷺ ، ويفتح باب الطعن في نبوته، إقتداءً ببعض المستشرقين ، وأسوة بأكبر شيطـان من شياطين قريش ، وهو : النضر بن الحرث [1] الذي أخبر الله عنه بقوله :

---

(١) وقيل غيره. وسيأتي أن ليس في الآية ما يدل على معرفته ﷺ بالكتابة،=

«وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً»[1].

ولكن كما قال الله تعالى «مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً»[2].

فصل

شرح حديث «إنا أمة أمية ...» الخ

٩٨ وإذ قد بيّنا كيفية إبتداء الوحي عن صحيح الإمام البخاري. وقوله ﷺ ما أنا بقارىء نفياً لقراءته، وتثبيتاً لأميته، خصوصاً. فلنذكر إثبات الأمية له، وللعرب عموماً من قوله في الحديث الصحيح «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» أخرجه البخاري في كتاب الصوم. وذكر الحافظ ابن حجر وغيره في شرح الحديث بقوله: قوله إنّا، أي العرب، وقيل أراد نفسه. وقوله: أمية بلفظ النسب

= ومعنى إكتتبها: أمر من يكتب له. وفي قوله «فهي تملى عليه بكرة وأصيلا» بيان لما قلناه.

(١) سورة الفرقان الآية ٥.

(٢) سورة الكهف الآية ١٧.

إلى الأم . فقيل أراد أمة العرب لأنها لا تكتب . وذكر بقية الأقوال المارة عن قواميس اللغة .

ومثل ذلك في شرح المشكاة للعلامة ملا علي القارىء .

وفي عون المعبود شرح سنن أبي داود،وفي المنهل العذب المورود للشيخ محمود خطاب السبكي .

ومثل ذلك في بلوغ الاماني شرح الفتح الرباني للعلامة أحمد بن عبد الرحمن البنا ج٩ .

فلو تتبعت شروح هذا الحديث في أي كتاب من كتب الحديث لما وجدته إلا على هذا النسق .

فإن قيـل : قوله ﷺ « إنا أمة أمية » الخ إخبار عن حالة الاكثرين يوم قال هذا الحديث . لا أن الأمية تكون لازمة مستمرة للعرب ما بقي الدهر . كيف وقد انتشرت القراءة والكتابة فيعصره بين العرب . فخرج الكثيرون من ربقة الأمية . فإذا كان هذا مسلماً بالنسبة للأمة . ولم يلزم استمرارها على الامية . فكذلك نقول: كان رسول الله ﷺ أمياً قبل الرسالة وعندها . ولكن لا يلزم ان تستمر أميته حتى آخر لحظة من حياته ﷺ . فالجواب : إنا نوافق القائل بان هذا الحديث لا يفيـد استمرار الأمية للعرب كلهم . ونسلم أن الأميـة أخذت في الانخفاض في عصر الرسالة ، وانتشرت القراءة

والكتابة وحفظ القرآن والحديث .

وأما بالنسبة للرسول ﷺ فليس حجتنا في إستمرار أميته وثبوتها حتى وفاته هذا الحديث فقط . بل الآيات القرآنية ، والنقل المتواتر عنه ﷺ من رواية الذين شاهدوه . وضبطوا أحواله وسجلوا صغير أحواله وكبيرها . ولا يجوز أن تفارقه صفة الأمية ، لأنها من معجزاته الكبيرة . ولأنه منعوت بها في الكتب السالفة . كما أنها صفة مدح في حقه ﷺ . وعليه فقد بطلت هذه الشبهة وأصبحت كسراب بقيعة .

فصل

99 وإذ قد بينا أمية العرب ، ونبذة عن حياة الرسول ﷺ ومعنى الأمي في اللغة ، مستندين إلى ما جاء في قواميس اللغة العربية .

فلنشرع في بيان الآيات المصرحة باميته : والآيات التي ذكر الله فيها الأميين ، ناقلين أقوال محققي المفسرين ليتضح للقارىء ما تمسك به الهندي ـ هداه الله ـ في نفي الأمية ، وأن تفسيره للأمي والأميين غير سديد . بل ظاهر الفساد والبطلان . وإنما مستنده شبه واهية ، أوهى من بيت العنكبوت . « كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ، وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ،

وَٱللهُ سَرِيعُ الحِسابِ . أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ. ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُور »[1].

وإليك نص الآية الأولى من سورة الأعراف المصرحة بأميته ﷺ . وكلام المفسرين مبتدئين بكلام العلامة « إبن جرير » رحمه الله تعالى.

الآيات الناصة على أمينه ﷺ وأقوال بعض المفسرين

١٠٠ قال الله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٥٦ :

« قالَ عذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ[2] فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكاةَ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ . ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْراةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ،

---

(١) سورة النور آية ٣٩ – ٤٠ .

(٢) مما يدحض شبهة الهندي . أن هذه الآية الشريفة :

أولاً : وصفت الرسول بالأمية .

ثانياً : أنها جملة إسمية تدل على الثبوت والدوام . كما هو معروف في علم البلاغة – فيستفاد منها ثبوت الأمية له ﷺ حتى إلتحاقه بالرفيق الأعلى .

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ ٱلَّتي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » .

١٠١ قال العلامة ابن جرير رحمه الله في تفسيره : قـال الله لموسى : « هذا الذي أصبتُ به قومك من الرجفة عذابي أُصيب به من أشاء من خلقي . كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك ».

« ورحمتي وسعت كل شيء » : عمت خلقي كلهم . قال بعضهم مخرجه عامٌ . ومعناه خاص . والمراد به : ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد . واستشهد بالذي بعـده من الكلام . وهو قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » .

وروى عن ابن عباس : ما يؤيد ذلك . ونقل عن ابن جريج : أنه لما نزلت : « ورحمتي وسعت كل شيء » . قـال الله : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » . الآية . قالت اليهود ونحن نتقي ونؤتي الزكاة . فأنزل الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » .

نزعها الله عن إبليس ، وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد .

ثم روى عن قتادة: أنه لما تمنت اليهود والنصارى أنزل الله شرطاً وثيقاً . فقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » : فهو نبيكم

كان أمياً لا يكتب .

وقال أبو جعفر : في تأويل قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ » . إبانة من الله جل ثناؤه عن الذين وعد موسى نبيه أن يكتب لهم الرحمة التي وصفها ـ جل ثناؤه ـ بقوله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » هم أمـة محمد ، لأنه لا يُعلم لله رسول وصف بهذه الصفة ـ أعني: الأمي ـ غير نبينا .

وعن قتادة : « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» يقول : يجدون نعته ، وأمره ، ونبوته ، مكتوباً عندهم .

وأحال إبن جرير معنى الأمي زيادة عن الكلام هنا على ما فسره في سورة البقرة [1] . آية ٧٧ .

---

(١) الآية التي يقول عنها في سورة البقرة هي قوله تعالى : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ » قال ابو جعفر : ومن هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات ، وأيأس أصحاب رسول الله (ﷺ) من إيمانهم ، فقال لهم : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم .. » الآية . عن ابي العالية : « ومنهم أميون » يعني من اليهود . قال ابو جعفر : يعـني الأميين الذين لا يكتبون ولا يقرؤن . ومنه قوله (ﷺ) . « إنا أمـــة أمية لا نكتب ولا نحسب » ولما ذكر عن ابن عباس رواية : ان الأميين قوم لم يصدقوا رسولاً ارسله الله ولا كتاباً انزله الله ، فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة: هذا من عند الله ، زيف هذا القول بقوله ، وهذا التأويل على خـلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم ، وذلك ان الأميّ عند العرب هو الذي لا يكتب ، وأطنب ابن جرير في ترجيح الأميّ : بأنه الذي لا يحسن ان يكتب .

١٠٢ قال : العلامة ابن كثير (رح) في تفسيره ، تحت قوله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي .. » الآية : هـذه صفة محمد (ﷺ) في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثته ، وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم . أقول : من صفاته كونـه أمياً لا يقرأ ولا يكتب . وسيأتي ذكره في تفسير الآية الثانية إن شاء الله .

١٠٣ قال : العلامة القرطبي في تفسيره :ج٧ تحت قوله: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ..» فيه عشر مسائل: قال الثانية ــ بعد أن ذكر الأولى ــ : قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي » . هذه الالفاظ كما ذكرنا ، أخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله تعالى : « فساكتبها للذين يتقون » .

وحصلت هذه العِدَة لامة محمد ، قاله إبن عباس ، وإبن جبير وغيرهما .

١٠٤ ثم قال الثالثة . قوله الامي : هو منسوب إلى الامـة الامية التي هي على أصل ولادتها ، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة . قال إبن العربي ، قال إبن عباس: كان نبيكم[1] أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يحسب .اهـ.

(١) : (وكان) في مثل هذه الصيغة تأتي للثبوت والإستمرار الدائم . كقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيما » ، وليس كقولنا كان زيد قائماً : اذ المعقول والمشاهدة يقضيان بعدم استمرار قيام زيد .

قال في :

روح المعاني . للعلامة الالوسي

رحمه الله

١٠٥ « الذين يتبعون الرسول النـبي الامي .. » الآية . أي الذي لا يكتب ولا يقرأ ــ ثم ساق كلام الزجاج ، وحديث عبدالله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ثم قال: أو إلى أم القرى لان أهلها كانوا كذلك[١] ، ونسب ذلك إلى الباقر[٢] ، أو إلى أمه . كأنه على الحالة الـتي ولدته أمه عليها .

ووصف عليه الصلاة والسلام بذلك تنبيها ، على أن كمال علمه مع حاله ــ أي : أميته ــ إحدى معجزاته . فهو بالنسبة إليه ــ بأبي هو وأمي ــ صفة مدح ، وأما بالنسبة إلى غيره فــلا . وذلك كصفة التكبر ، فإنها صفة مدح لله ، وصفة ذم لغيره .

---

(١) انظر تعليل الآلوسي ، لنسبته إلى أم القرى بقوله : لأن أهلها كانوا كذلك ــ أي : كانوا أميين ، فلذا نسب اليها . فلا مستند لمن زعم نفي الأمية كما هو واضح ، ومن قواعد اللغة العربية أن النسبة في الاسم المركب تكون إلى المضاف إليه ولا تكون إلى المضاف ، وعليه فالنسبة هنا قروى بضم القاف ، وليس أمياً .

(٢) ما كل ما نسب الى إمام او عالم ، او أي شخص يكون صحيحاً . فلا مستمسك بما نسب الى الباقر « رضي الله عنه » لمن زعم نفي الأمية عنه (ﷺ) . وكم نسبوا الى الأئمة الأجلاء ــ رحمهم الله ــ أقاويل لا تصح ابـداً . على انه لو صح نسبته الى الباقر فلا ضير في ذلك للتعليل السالف .

ثم ذكر عن كتاب صلح الحديبية وقال : جاء عن بعض أهل البيت أنه صلى الله عليه وسلم كان تنطق له الحروف المكتوبة إذا نظر فيها ، ولم أر لذلك سنداً يُعوّل عليه . وهو صلى الله عليه وسلم فوق ذلك . اهـ .

١٠٦ قال : العلامة الفخر الرازي . في تفسيره ج ٤ : بعد كلام سبق تحت الآية الشريفة .

إذا عرفت هذا فنقول أن الله تعالى وصف محمداً (ﷺ) في هذه الآية بصفات تسع :

الأولى : كونه رسولا : اختص هذا اللفظ بحسب العرف . بمن أرسله الله إلى الخلق لتبليغ التكاليف .

الثانية : كونه نبياً ، وهو يدل على كونه رفيع القدر عند الله .

الثالثة : كونه أمياً ، قال الزجاج : معنى الأمية : الذي هو على على صفة أمة العرب . وساق الحديث السالف الذكر. ثم قال: العرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرءون . والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك ، ولهذا السبب وصف بكونه أمياً .

قال أهل التحقيق : وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته ، وبيانه من وجوه :

أولاً : أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ، ولا تغيير كلماته ، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ، ثم أعادها فإنه لا بد أن يزيد فيها ، أو أن ينقص عنها بالقليل أو الكثير ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام . مع أنه ما كان يكتب ، وما كان يقرأ ، يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تغيير . فكان ذلك من المعجزات وإليه الاشارة بقوله : « سنقرؤك فلا تنسى » .

ثانياً : لو كان يحسن الخط والقراءة : لصار متهماً بأنه ربما طالع كتب الأولين ، فحصّل هذه العلوم من تلك المطالعة . فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة ، من غير تعلم ولا مطالعة ، كان ذلك من المعجزات . وهذا هو المراد من قوله تعالى «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ».

ثالثاً : إن تعلم الخط شيء سهل ، فإن أقل الناس ذكاءً وفطنة ، يتعلم الخط بأدنى سعي . فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم ، ثم إنه تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين . وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر . ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم . جعله الله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه ـ على أقل الخلق عقلاً وفهماً ـ فكان الجمع بين هاتين الحالتين المضادتين ، جار مجرى الجمع بين الضدين .

وذلك من الأمور الخارقة للعادة ، وجار مجرى المعجزات .

رابعاً: قوله: « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل »

وهذا يدل على أن نعته ، وصحة نبوته ، مكتوب في التوراة والإنجيل . لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله . لأن الإصرار على الكذب والبهتان ، من أعظم المنفرات . والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وتنفير الناس عن قبول قوله . فلما قال ذلك ، دل على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة والإنجيل .

وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته . اهـ .

١٠٧ قال: الشيخ المراغي – في تفسيره : ج ٩ :

أولاً : في شرح مفردات الآية . قال: « الأميّ » : الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأم . وأهل الكتاب يلقبون العرب بالأميين، كما حكى الله عنهم : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ».

ثانياً : قال في تفسير قوله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ » . الآية .

أي: أن كتابة الرحمة كتابة خاصة، لمن يتصفون الصفات الثلاث المتقدمة. وهم :

الذين يتبعون الرسول النبي الامي .

وهو وصف خاص بمحمد عليه الصلاة والسلام ، لا يشاركه فيه غيره من النبيين . فالأمية آية من آيات نبوته . فهو مع أميته قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي بها يصلح ما فسد من عقائد البشر ،وأخلاقهم، وآدابهم ، وأعمالهم .

فغير نظم البشر في تلك الحقبة الطويلة ، وأثر في حياة الأمم التي حوله أكبر الأثر . مما يشهد له المنصفون في كل الاديان .

وقد وصف الله ذلك الرسول ، الذي أوجب إتباعه على كل من أدركه من بني إسرائيل :

أولاً : أنه النبي الامي .

ثانياً : أنه هو الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

أي : يجد الذين يتبعونه من بني إسرائيل ، وصفه مكتوباً في التوراة والإنجيل ، بحيث لا يشك أنه هو .

فقد جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « جاء الرب من سينا ، وأشرق لنا من ساعير . واستعلى من جبال فاران ، ومعه ألوف الاطهار . في يمينه قبس من نار » .

فمجيئه من سينا : إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام .

وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام .

وإستعلاؤه من جبل فاران : إنزاله القرآن . لان فاران من جبال مكة . اه .

١٠٨ ## الآية الثانية

من سورة الاعراف[١] رقم ١٥٨

قال الله تعالى: « قُلْ يا أَيُّها ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً. ٱلَّذي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ».

١٠٩ قال العلامة إبن كثير : في تفسيره : ج : ٢

يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : « قل يا أيها الناس».

هذا خطاب للأحمر والأسود والعرب والعجم .

« إني رسول الله إليكم جميعاً » .

أي : جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ،

---

(١) وقد ذكر المفسرون في سورة الجمعة نحواً مما ذكروه في تفسير سورة الأعراف . واكتفينا بما ذكروه في آيتي الاعراف ، لأن المعنى واحد. فلا حاجة إلى التطويل .

وأنه مبعوث إلى الناس كافة . كما قال الله تعالى : « قل الله شهيد بيني وبينكم . وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ». إلى أن قال: « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي » .

أخبرهم أنه رسول الله إليهم ، ثم أمرهم بإتباعه والإيمان به.

النبي الأمي : أي الذي وعدتم به وبشرتم به ، فإنه منعوت بذلك في كتبهم . ولهذا قال : « النبي الأميّ » .

وقوله تعالى : « الذي يؤمن بالله وكلماتــه » : أي يصدق قوله عمله . وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه . « واتبعوه » أي : اسلكوا طريقه ، واسلكوا أثره . « لعلكم تهتدون » إلى الصراط المستقيم. اهـ باختصار .

والمقصود من ذكر الأميّ في الآية ، وقد تقدم تفسير الأمي فيما أوزدناه من كلام المفسرين . وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب. أو ألقى السمع وهو شهيد .

١١٠ آية العنكبوت، النافية لتلاوته من كتاب وكتابته الخط

قال الله تعالى: « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ». (الآية ٤٨).

قال العلامة ابن جرير في تفسيره: وما كنت يا محمد تتلو.

يعني: تقرأ يا محمد من قبل هذا الكتاب الذي أنزلت إليك « من كتاب ولا تخطه ». ولم تكن تكتب بيمينك لأنك كنت أمياً.

« إذا لارتاب المبطلون ». يقول ولو كنت من قبل[1] أن يوحى

---

(١) يقول العلامة ابن جرير: ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب أو تخطه بيمينك... ويقول الهندي: أن هناك وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ قبل النبوة، لو نشرت لدلت على صدق قوله - أي كونه مثقفاً، ولم يكن أمياً. تأمل واحكم.!! وناهيك بابن جرير علماً وإطلاعاً واسعاً، رواية ودراية. لا سيما في علمي التفسير والتاريخ، حتى لما صنف التفسير ووقف عليه العلامة إبن خزيمة في عصره قال « ما تحت أديم السماء بأعلم بالقرآن أو بالتفسير من ابن جرير ».

إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطه بيمينك . إذاً لشك بسبب ذلك في أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هـــذا الكتاب الذي تتلو عليهم . والمبطلون : القائلون أنه سجع ، وكهانة ، وأنه أساطير الأولين. اهـ

١١١ قال العلامة الرازي في تفسيره : تحت قوله تعالى : « وما كنت تتلوا من قبله[1] من كتاب » . الآية .

(١) فإن قيل أن قوله « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب » . الآية أي: من قبل هذا القرآن . ويفهم منه أنه ﷺ كان قادراً على التلاوة للكتب والخط بعد إنزال الكـــتاب ، فالجواب : أن هذا احتجاج بمفهوم المخالفة ، وهو موضع خلاف بين الأصوليين منعته الحنفية وكثير من العلماء . وأجازه بعضهم . وفيه تفصيل طويل . وهذا من حيث ظاهر اللفظ ، بقطع النظر عن القرائن. ولكن بالرجوع إلى سيرة الرسول التي دونها العلماء ، ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سجلوها وضبطوها – يعلم أنه ﷺ لم يقرأ ولم يكتب لا قبل إنزال القرآن ولا بعده ، ولو كان قد كتب لنقل . وسيأتي في صلب الكتاب كلام شيخ الإسلام وغيره من العلماء في هذا الشأن . وبناء عليه : فقد بطل ذلك المفهوم . فلا حجـــة للهندي ولا للباجي ولا للنيسابوري ولا لغيرهم . ومجرد[1] مفهوم واحتمال أو تجويز – كتجويز الشريف الرضي ، كما نقله الطبرسي في تفسيره – بأنه يجوز أن يكون عالماً بالكتابة والقراءة بعد النبوة وغير عالم بهما من غير قطـــع بأحد الأمرين ، لا يثبت[2] أمام صريح الآيات والسنن الثابتة ، وأحوال الرسول ﷺ المحررة ، وما يليق بمقامه الكريم من إتصافه بهذه المعجزة العظيمة التي فاق بها على جميع من سلف من الأنبياء والمرسلين . وهذا واضح لكل منصف » .

(١) مبتدأ – (٢) خبره وبهذا تعرف جواب كلام الزرقاني .

هذه درجة أخرى بعد ما تقدم على الترتيب . وذلك لأن المجادل إذا ذكر مسالة مختلفاً فيها كقول القائل : « الزكاة تجب في مال الصغير » . فإذا قيل له لم ؟ : فيقول : كما تجب النفقة في ماله . ولا يذكر أولاً الجامع ، فإن قنع الطالب بمجرد التشبيه وأدرك من نفسه الجامع فذاك . وإن لم يدرك ، أو لم يقنع ، يبدي الجامع فيقول : كلاهما مال فضلاً عن الحاجة فيجب .

وكذلك هنا ذكر أولاً التمثيل بقوله : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب» أي القرآن .

ثم ذكر الجامع ، وهو المعجز . فقال ما علم كون تلك الكتب منزلة إلا بالمعجزة.وهذا القرآن ممن لم يكتب ، ولم يقرأ.عين المعجزة فنعرف كونه منزلاً .

وقوله : « إذاً لارتاب المبطلون » : فيه معنى لطيف . وهو أن النبي إذا كان قارئاً أو كاتباً ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه . فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه . لكن على ذلك التقدير : يكون للمبطلين وجه إرتياب .

وعلى ما هو عليه ـ أي كونه أمياً ـ لاَ وَجْه للارتياب ، فهو أدخل في الإبطال . وهكذا كقوله تعالى :

« وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فأْتوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ».انتهى .

١١٢ قال العلامة ابن كثير ، في تفسيره للآيات : ج : ٣

« وَكَذَلِكَ أنزَلْنا إلَيْكَ ٱلكتابَ فالَّذينَ آتَيْناهُمُ ٱلكتابَ يُؤْمِنونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَّ الكافِرُونَ » .

« وَما كُنتَ تَتْلوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ . وَلا تَخُطُّهُ بِيَمينِكَ، إذاً لارْتابَ الْمُبْطِلونَ. بَلْ هوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ ٱلَّذينَ أوتوا العِلْمَ وما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الظالِمُونَ[1] » .

قال ابن جرير ، يقول الله : كما أنزلنـــا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل . كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب ، وهذا الذي قاله حسن وارتباطه جيد . وقوله : « فالذين آتينـاهم الكتاب يؤمنون به ».أي: الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء، كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي وأشباههما .

« ومن هؤلاء من يؤمن به » . يعني العرب من قريش وغيرهم . « وما يجحد بآياتنا إلاّ الكافرون » . أي : ما يكذب بها ويجحد

(١) سورة العنكبوت الآيات : ٤٧-٤٨-٤٩ .

حقها إلا من يستر الحق بالباطل ، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل . وهيهات .

ثم قال الله تعالى: «وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » . أي : لقد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً، لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة.بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أميٌ لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة . كما قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » . الآية .

وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين ، لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده. بل كان له كتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم .

ومن زعم من متأخري الفقهاء ـ كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه ـ أنه عليه الصلاة والسلام كتب يوم الحديبية « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله » . فإن ما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري «ثم أخذ فكتب » . وهذه محمولة على الرواية الأخرى « ثم أمر فكتب » .

ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي ، وتبرؤا منه . وأنشدوا في ذلك أقوالاً ، وخطبوا في

محافلهم. وإنما أراد الرجل ـ أعني الباجي ـ فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجـه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة. كما قال ﷺ إخباراً عن الدجال مكتوب بين عينيه « كافر ». وفي رواية ـ ك ـ ف ـ ر. يقرؤها كل مؤمن.

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة. فضعيف لا أصل له [١].

قال الله تعالى: « وما كنت تتلوا ». أي: تقرأ « من قبله من كتاب ». لتاكيد النفي. « ولا تخطه بيمينك » تاكيد أيضاً. وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى: « ولا طائر يطير بجناحيه ».

وقوله: « إذاً لارتاب المبطلون » أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس. فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء.

مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بانـــه أمي لا يحسن الكتابة. « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ».

---

(١) أي: موضوع مكذوب. ولا يقـال أن الضعيف غير الموضوع، لأنا نقول: إردافه بكلمة « لا أصل له » يبين أنه موضوع. قال البيقوني:

والخبر المختلق المصنوع   على النبي فذلك الموضوع

قال الله تعالى: « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ».

وقال ها هنا « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم.. » أي : أن هـذا القرآن آيات بينات واضحة للدلالة على الحق ، أمراً ، ونهياً ، وخبراً . يحفظه العلمـاء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة ، وتفسيراً . كما قال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدّكر ؟ ».

وقال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلاّ وقد أعطي ما آمن على مثله البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » .

وفي حديث عياض بن حماد ، في صحيح مسلم . يقول الله تعالى : « إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله المـاء ، تقرؤه نائماً ويقظاناً » . أي : لو غسل المـاء المحل منه لما احتيج إلى ذلك المحل .

لأنه قد جاء في الحديث الآخر : « لو كان القرآن في إهاب ما أحرقته النـار » . لأنه محفوظ في الصدور ميسور على الألسنة ، مهيمن على القلوب . معجز لفظاً ومعنى . ولهذا جـاء في الكتب المتقدمة . في صفة هذه الأمة : « أناجيلهم في صدورهم » .

واختار ابن جرير : أن المعنى في قوله تعـالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » . بل العلم بأنك ما كنت تتلو من

قبل هـــذا الكتاب ، كتاباً . ولا تخطه بيمينك ، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتــادة وابن جريج .

وحكى الأول عن الحسن البصري فقط. قلت : وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس ، وقاله الضحاك ، وهو الأظهر والله أعلم .

وقوله تعالى : « وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون » أي : ما يكذب بها ، ويبخس حقها ، ويردها إلا الظالمون. أي : المعتدون، المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه . كما قال الله تعــالى : « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ». اهـ



قــال في :

١١٣

البحر المحيط

ج : ٧ : ص : ١٠٠

« وما كنت تتلوا من قبله ». أي : من قبـــل نزوله عليك .
« من كتاب » . أيّ كتاب ، ومن . زائدة ، لأنها في متعلق النفي.

« ولا تخطه » . أي : لا تقرأ ، ولا تكتب بيمينك ، وهي الجارحة التي يكتب بها ، وذكْرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة .

ولما ذكر إنزال الكتاب عليه متضمناً من البلاغة والفصاحة ، والإخبار عن الأمم السالفة،والأمور الغيبية ما أعجز البشر أن ياتوا بسورة من مثله .

أخذ يحقق كونه نازلاً من عند الله ، بانه ظهر على رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يخالط أهل العلم.وظهور هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه .

وأكثر المسلمين على أن رسول الله ﷺ لم يكتب قط ، ولم يقرأ

بالنظر في كتاب .

ثم ذكر حديث أبي كبشة السلولي،وهو حديث معاوية[1] .وذكر خلاف الباجي ، واشتداد نكير كثير من العلماء عليه، وطعنهم فيه. ثم قال :

« إذاً لارتاب المبطلون » أي: ولو كان يقرأ كتاباً قبل نزول القرآن أو يكتب لحصلت الريبة للمبطلين .

إذ كانوا يقولون : حصّل ذلك مما قرأه من قبل، أو خطه واستحفظه . فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة .

وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة،فظاهر فساده.والمبطلون: أهل الكتاب . قاله قتادة .

أو كفار قريش : قاله مجاهد .

---

(١) مضمونه . أنه ﷺ أمر معاوية أن يكتب صحيفة لعيينة بن حصن ، فأخذها ﷺ ونظر فيها فقال : كتبت كما قلت لك . وهو حديث ضعيف لا يحتج به – كما ذكر الحافظ ابن حجر ، وإبن كثير والقرطبي وغيرهم .

ومما ينبغي التنبه له،أن تعبير أبي حيان بأكثر المسلمين على أنه ﷺ لم يكتب. ليس كتعبير الهندي في قوله : إن نبينا لم يكن أمياً كما عليه جمهور المسلمين، لأن تعبير أبي حيان بالنسبة لخلاف الباجي ومن وافقه . وقد عرفت غير مرة كلام الباجي ومراده . وأما الهندي فيقول : لم يكن أمياً . والفرق بين العبارتين شاسع لا يخفى .

وسمّوا مبطلين لأنهم كفروا به وهو أميّ بعيد من الريب . ولما لم يكن قارئاً ، ولا كاتباً كان ارتيابهم لا وجه له . اهـ .

قال العلامة القرطبي

في تفسيره : ج ١٣ – ١٤ : ص ٣٥١

١١٤ « ومـا كنت تتلوا من قبله من كتاب » . الضمير في « قبله » عائد إلى الكتاب . وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ .

اي : وما كنت يا محمد تقرأ قبله ، ولا تختلف إلى اهل الكتاب. بل أنزلناه إليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب ، وغير ذلك .

فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ويخط حرفاً : لارتاب المبطلون . اي : من اهل الكتاب ، وكان لهم في ارتيابهم متعلق . وقالوا : الذي نجد في كتبنا انه أمي لا يكتب ولا يقرأ ، وليس به .

قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً لا يخط ولا يقرأ . فنزلت الآية .

قال النحاس : دليلاً على نبوته لقريش لأنه لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يخالط أهل الكتاب ، ولم يكن من أهل كتاب . فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك .

وذكر القرطبي حديث أبي كبشة السلولي وضعفه ، وذكر خلاف الباجي ورد العلماء عليه . ثم قال بعد كلام :

قال بعض المتاخرين : من قال هي[1] آية خارقة ، فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر ، لولا أنها مناقضة لآية أخرى . وهي كونه أمياً لا يكتب . وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجة . وأفحم الجاحدون ، وانحسمت الشبهة. فكيف يطلق الله يده ليكتب وتكون آية ، وإنما الآية ان لا يكتب !!.

فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك ، لعادت الشبهة ، وقال المعاندون كان يحسن ان يكتب . لكنه كان يكتم ذلك

والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضاً. وإنما معنى كتب ، أي : أمر من يكتب به من كتّابه . وكان من كتبة الوحي بين يديه ﷺ ستة عشر كاتباً .

ونقل عن القاضي عياض ، عن معاوية : انه كان يكتب بين يدي النبي ﷺ فقال له أَلِق الدواة[2] وحرِّف القلم[3] ، وأقم

---

(١) يعني الكتابة في الحديبية — على رواية .

(٢) بفتح الهمزة وكسر اللام ،أمر من ألاق الدواة. إذا جعل لها ليقة وأصلح لها مداداً . وهو بمعنى مجرد لاق — على ما في القاموس .

(٣) بتشديد الراء المكسورة . أمر من التحريف . أي : اجعل طرف شقه الأيمن أزيد من الطرف الآخر قليلا ، لأنه أسرع في الكتابة .

الباء [١] ، وحسّن الله [٢] ، ومدّ الرحمن [٣] ، وجوّد الرحيم [٤] .

قال القاضي : وهذا وإن لم تصح الرواية ، أنه ﷺ كتب . فلا يبعد أن يرزق علم هذا ، ويمنع القراءة والكتابة .

قلت هذا هو الصحيح في الباب انه ماكتب ولا حرفاً واحداً . وإنما امر من يكتب . وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل فقد تهجا النبي ﷺ حين ذكر الدجال فقال مكتوب بين عينيه « ك . ف . ر » وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه أمياً ، قال الله تعالى « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب » .

---

(١) أي . طرفها .

(٢) أي : جميع حروفه .

(٣) أكثر حروفه من الحاء والميم والنون ، أو آخرها ، وهو الأولى .

(٤) أي : حروفه لا سيما الميم . قيل : خص الرحمن بالمد ، لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة . وخص الرحيم بالتجويد ، لأنه يخص أصحاب التوحيد. والقاضي عياض نقل هذا عن مسند الفردوس كما في شرح الشفاء لعلي القاري، ومسند الفردوس معروف عند علماء الحديث بالضعف. وقد كفانا مؤونة البحث الشيخ عياض باعترافه عدم صحة الرواية . أما قوله : فلا يبعد أن يرزق علم هذا ، ويمنع الكتابة والقراءة ، فعدم استبعاده ليس بعلم ولا بحجة . وهنا ذكر علي القاري عن قصة الحديبية ثم قال : إن لفظ كتب وقع مجازاً لا شك فيه . ثم ذكر خلاف الباجي وقال : قوله شاذ منفرد عن الجماعة ، والمسألة شهيرة ، وملخصها أن اللفظة صحيحة المبنى . وهي مجاز المغني – يريد لفظ كتب .اه.

وقال ﷺ : « إنا أمه أمية لا نكتب ولا نحسب ». فكيف هذا ؟

فالجواب ما نص عليه ﷺ في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، ففي حديث حذيفة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب .

فقد نص في ذلك على غير الكاتب . ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً . اهـ .

قال المراغي

في تفسيره . ج ١٣

١١٥ « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب .. » الآية.

أي : فإن ظهور هذا الكتاب الجامع ، لما يكفل السعادة في الدارين في شرائعه وقضاياه على يد أمي لم يعرف القراءة والتعلم ، خارق للعادة . وذكر اليمين زيادة تصوير للنفي ، ونفي للتجوز في الإسناد.

« إذاً لارتاب المبطلون » أي : لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا : لعله تعلمه . أو كتبه من كُتب مأثورة عن الأنبياء عليهم السلام .

تنبيـــه

قال العلامة السيوطي

(رحمه الله تعالى) في الاكليل

١١٦ في هذه الآية دليل على أنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ، ولا يكتب ، وفيها رد على من زعم أنه كتب . اهـ .

في الدر المنثور

للعلامة السيوطي

١١٧ تحت قوله : « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب .. » الآية .

أخرج ابن أبي شيبة ، وابن جريج ، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد [١] في قوله تعالى : « وما كنت تتلوا » الآية قال : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم ، أن محمداً ﷺ ، لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً . فنزلت « وما كنت تتلوا » الآية.

---

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك .

١١٨ وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والاسماعيلي في معجمه عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال : لم يكن رسول الله ﷺ يقرأ ولا يكتب ، كان أمياً .. وفي قوله : « بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » .

قال : كان الله أنزل في شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج ، لا يعلم كتاباً ، ولا يخط بيمينه. وهي الآيات البيّنات التي قال الله عنها.

١١٩ وأخرج عبد الرزاق وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في تفسير الآية : نحو ما نقل عن ابن عباس (رض) .

وفي قوله : « آيات بيّنات » قال : النبي آية بيّنة في صدور الذين أوتوا العلم ـ من أهل الكتاب ـ ، وقال الحسن : القرآن: آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .. يعني المؤمنين [١] .

واخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن الضحاك في الآية : قال : كان النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب وكذلك جعل نعته في التوراة

---

(١) والحاصل : أن منهم من فسر « بل هو آيات بينات » بالنبي . ومنهم من قال هي آيات القرآن ، ولا مانع بأن نقول : انه كما أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ـ يعني المؤمنين ـ فكذلك النبي ﷺ آية بينة من حيث نبوته الصادقة ومعجزاته الخارقة .

والإنجيل ـ أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب .

وأخرج البيهقي في سننه ، عن ابن مسعود في الآية التي نحن بصددها مثل ما سلف عن مجاهد وابن عباس وقتادة [(١)] .

---

(١) تأمل أقاويل مفسري السلف من الصحابة والتابعين ، لا سيا حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود . والأول كان ابن عم الرسول ، وقد دعا له الرسول ﷺ بقوله : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وكان يُعرف بترجمان القرآن . وإليه المرجع في التفسير ، فضلاً عن مشاهدته له ﷺ وصحبته له. وأما ابن مسعود فكان رضي الله عنه من الملازمين له ﷺ ومشاهداً له في أكثر أحواله . ومن المشتهرين بعلم التفسير كابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت . وأما مجاهد فقد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، واعتمد على تفسيره العلماء الأجلاء ، والأئمة الفضلاء . كالإمام الشافعي ، والإمام أحمد ، والبخاري وغيرهم.ولا ننسى الضحاك رحمه الله.فقد قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة ـ يعني من التابعين ـ سعيد بن جبير ،ومجاهد، وعكرمة ، والضحاك . فالذين[(١)] شاهدوا الرسول وأحاطوا بأحواله من صغار الأمور وكبارها . ثم جاء من بعدهم التابعون وتابعوهم يجهرون ويعلنون للأمة : أن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب ، ودرج من بعدهم على منوالهم ، أعلام الفقهاء ، والمحدثين ، والمفسرين ، والمؤرخين . ثم يأتي حضرة الأستاذ بعد أربعة عشر قرناً ، فيدعي أنه قد عرف من أحوال الرسول ﷺ ما لم يعرفه الصحابة الأجلاء ـ كالخلفاء الراشدين وابن مسعود وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ـ وما لم يعرفه التابعون الأخيار، وسائر العلماء الأبرار . من عصر صاحب الرسالة حتى يومنا هذا.ولا أدري بأي طريق اتصل بالنبي ﷺحتى عرف ما =

---

(١) فالذين مبتدأ : خبره الجملة الفعلية التي هي « يجهرون » .

قال الشيخ محمد يوسف الأباضي المغربي

في تفسيره « هيميان الزاد »

١٢٠ تحت قوله : « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب » الآية .

فأنت أمي لا تقرأ المكتوب ولا تكتب. وظهور القرآن الجامع لأنواع الشريعة عليك . مع انك لا تكتب ولا تقرأ ماكتب ، ولا تتعلم . أمر خارق للعادة . وذكر « اليمين » ــ مع ان نفي الخط ، وهو الكتابة يغني عنه ــ زيادة[1] في امتناع الكتابـــة وتاكيداً لامتناعها ، ونفياً للتجوز عن الإسناد .

= لم يعرفه ابن عباس وسائر الصحابة . وهنا لا بد من أمرين لا محيص عنهما :
أولاً : إما أن يثبت دعواه التي ادعاها من طريق الصحابة والتابعين والأئمـــة المجتهدين ، فهذا دونه خرط القتاد ، وأبعد من السهى .
ثانياً : إن كان من غير طريقهم فكيف وصل اليه هذا العلم ولا طريق إلا من طريقهم . والحال أن جميع المؤرخين من مسلمين وكافرين ، إنما يعتمدون على على رواية الصحابة والتابعين ، وعلى المحدثين والمفسرين ــ إذا استثنينا بعضاً من المستشرقين ، فإنهم قد يتشبثون برواية ضعيفة ، أو بقول مكذوب ، تدعيماً لمزاعمهم ، وتلبيساً على القارىء . ولكن لا يخفى على الناقد البصير .

(١) خبر للمبتدأ الذي هو ذكر اليمين ، وقوله مع أن نفي الخط إلى قوله يغني ــ جملة إعتراضية .

فلو أسقط اليمين مثلاً . لجاز أن يراد بالنظر إلى ظاهر اللفظ. أنه لا يكتب . وإن يراد أنه لا يأمر بالكتابة ، مع أنه ظاهر عالم بها. وهذا الثاني مجاز[1] .

ألا تراك لو قلت: رأيت الأمير يكتب هذا بيـــده . كان أشد لإثباتك أنه تولى الكتابة ، فكذلك النفي[2] .

« إذاً لارتاب المبطلون » : جواب «لو» محذوفة . أي : لو كنت تتلو كتاباً من قبل القرآن، أو تخطه بيمينك . إذاً لارتاب ـ أي : شك المبطلون : وهم اليهود ، فيقولون : الذي نجد نعته في التوراة أنه خاتم الأنبياء[3] لا يقرأ المكتوب ، ولا يكتب .

---

(١) أي : قوله أنه لا يأمر بالكتابة .. الخ .

(٢) أي : إذا قلت لا يكتب بيده مثلاً .

(٣) قد ذكر القرآن الشريف في سورة الأعراف: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .. » الخ . وواضح أنه ﷺ منعوت بالأمية في التوراة والانجيل . وسبق كلام الصحابة والتابعين وطائفة من المفسرين ، بأنه كان لا يقرأ ولا يكتب،وأنه كان منعوتاً بهذا النعت في التوراة والإنجيل. وكأن الاستاذ لا يعلم أن قوله « كان النبي ﷺ مثقفاً قبل الرسالة » الخ . تكذيب للتوراة والإنجيل والقرآن وللرسول ولسائر الصحابة والتابعين ولسائر المسلمين على اختلاف فرقهم ، ولا يخفى ما يلزم من هذه المقالة الجائرة،ولا يخرجه عن دائرة التكذيب ما احتج به في كتاب رسول الله ﷺ=

قال مجاهد : المبطلون : كفار قريش . وارتيابهم أن يقولوا أنه يقرأ من كتب الأولين وينسخ منها . وأما ارتيابهم مع أنه لا يكتب ولا يقرأ ما كتب فظاهر الفساد والعناد .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية

في الجواب الصحيح

١٢١ في بيان الأدلة الدالة على نبوته ﷺ محتجاً بعدة آيات من القرآن.

كقوله تعالى :

« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين » .

وقوله تعالى :

« قل لو شاء الله ما تلوته عليكم . ولا أدراكم به . فقد لبثت فيكم

= في صلح الحديبية ، لأن تلك الكتابة لم تثبت –كما سلف– وعلى فرض الثبوت ، لم يخرجه ﷺ عن حيز الأمية . والباجي لم يقل بأنه كان عالماً بالقراءة والكتابة قبل بعثته . وقد سبق النقل عن الباجي ، ويأتي المزيد من البيان والإيضاح والرد عليه .

عمراً من قبله أفلا تعقلون » .

وقال :

« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

بيّن سبحانه وتعالى من حاله ما يعلمه العامة والخاصة . ومعلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواتر[1] عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس . أنه كان ﷺ لا يقرأ كتاباً ، ولا يخط كتاباً من الكتب لا المنزلة ولا غيرها[2] .

ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها .

---

(١) انظر إلى قوله متواتر . . الخ . لتعلم أن ثبوت أميتـــه منقول بطريق التواتر المفيد للعلم القطعي ، وهو حجة بإجماع المسلمين وغيرهم .

(٢) قارن بين تفسير هذا الإمام الجليل . الذي قال فيـــه قاضي مصر في عهده : « ما رأى الناس مثل هذا الإمام منذ ثلاثمائة سنة ، ولا رأى هو مثـل نفسه » . وقال بعضهم في حقه: كل حديث لا يعرفه إبن تيمية فليس بحديث . إلا أن الاحاطة لله . فكان في علمي التفسير والحديث وسائر العلوم بحراً لا يجاري » . قارن بين قوله : « لا الكتب المنزلة ولا غيرها » . وبين تفسير الهندي . أن المراد من قوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب » . هي : الكتب المنزلة . لتعلم قيمة كلامه هذا .

١٢٢ ومعلوم أنه من تعلم من غيره إما أن يأخذه تلقيناً وحفظاً ، وإما أن يأخذه من كتاب .. وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوباً .

والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه . وهو ﷺ لم يكن يقرأ ولا ينسخ. قال الله: «وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » .

١٢٣ وقال شيخ الإسلام ، ما ملخصه: إن قومه كانوا يعلمون أنه ﷺ لم يتعلم من أحد ولم يكن يعاشر غيرهم حتى يتأتى لهم أن يقولوا قد أخذ ممن جالسه .

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أيضاً ، انه لم يتعلم من بشر ، لما يلي:

١٢٤ أولاً : أن قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته – مع كمال علمهم بأحواله – لو علموا انه تعلم من بشر لطعنوا عليه وأظهروه . فإنهم مع علمهم بحاله يمتنع ألاّ يعلموا ذلك لو كان[1] .

---

(١) لو ثبت لديهم بطريق من الطرق المفيدة للعلم أو الظن أنه تعلم قراءة وكتابة أو علماً يمكنه بأن يأتي بما أتى به من الكلام المعجز المشتمل على كثير من المغيبات ، وعلى قصص الأنبياء والمرسلين ، والأمم الغابرة . وعما يأتي في =

. . . .

= المستقبل . لجادلوه وأثبتوا ذلك . بـل لو كانت لهم شبهة يصح التشبث بها لأبرزوها . ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة ، كانوا كلهم يعلمون كذبه . وإذا تشاوروا في أمره يعترفون أن ذلك كذب ظـاهر عليه ، كما كانوا يقولون أنه مجنون . وبعضهم يقول أنـــه شاعر ، وبعضهم يقول أنه ساحر . وبعضهم يقول أنه علمه بشر . وذلك كله كذب صريح. فحكى الله أقوالهم مبيناً ظهور كذب من قال ذلك . وأنه قول ضال حائر قد بهره حال الرسول فلم يدر ما يقول . كما قال الله : « إن هذا الإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقـد جاءوا ظلماً وزوراً . . » إلى قوله « غفوراً رحيماً » . وقال : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . . » الآية .

ومعنى الآية الأولى أن ذلك الشيطان المريد قيل النضر بن الحارث أو غيره زعم أن هذا القرآن ليس من عند الله . بل اختلقه محمد وأعانه بعض من أهـل الكتاب . قيل أبو فكيهة الرومي وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ، أو يسار مولى العلاء بن الحضرمي . فرد الله هـذا القول بقوله : « فقد جاءوا ظلماً وزوراً » أي : فقـــد وضعوا الأشياء في غير موضعها ، وكذبوا على ربهم إذ جعلوا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إفكاً مفترى من قبل البشر . وكيف يتقولون ذلك وقد تحداهم أن يأتوا بمثله، وهم فرسان الفصاحة والبلاغة ، فعجزوا أن يأتوا بمثله .

« وقالوا أساطير الأولين إكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » .

الأساطير : واحدها إسطار واسطورة . وهو : مـــا سطره المتقدمون . إكتتبها . أي : أمر بكتابتها . لأنه أميّ لا يقرأ ولا يكتب – باعترافهم –

. . . .

فهي تملى عليه : تقرأ أول النهار وآخره ، ليتكلف حفظها لأنه أميّ لا يقدر أن يكرر من الكتابة . وقد رد الله عليهم بقوله : « قـــل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض .. » الآية . فلا مستمسك لأحد بأنه ﷺ قد اتهمه قومـــه بالقراءة والكتابة . لأن المفسرين قالوا : اكتتبها . أي : أمر بكتابتها . وكانوا معترفين بأميته . ولهذا يرد الله عليهم بقوله:«وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » . أي : لو كنت تقرأ وتكتب لحصلت لهم ريبة وشك . وهذا أكبر دليل على أنهم لم يتهموه . على أن آخر الآيه « فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » . أي : مستمراً صباحاً ومساءاً في حفظ ما يكتب له – كما زعموا – دليل على ما قلناه . فلو كان قارئاً لما احتـــاج أن يشغل نفسه بالمداومة على حفظ ما يكتب له ليقرأه . بـــل كان يقرأه من كتاب – كما هو واضح – وقولهم هذا من الإفك والبهتان الصريح الذي لا يقبـــله من له مسكة عقل . لأنهم يعرفونه من حين ولادته إلى حين ما دعاهم ، ونشأ بين أظهرهم ، ويعرفون مدخله ومخرجـــه ، وصدقه ونزاهته ، وأنه ما كان يعاني شيئاً من الكتابة ، لا في أول عمره ، ولا في آخره . ولكنهم لما حاروا فيما يقذفونه به . قال بعضهم هذه المقالة الزائفة .

وقال بعضهم : بأنه ساحر . وتارة قالوا بأنه شاعر . واخرى بأنه مجنون . وحيناً اتهموه بالكذب .!!

وقال الله في الرد عليهم : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فـــلا يستطيعون سبيلا » . كما رد عليهم في قولهم : « إنما يعلمه بشر » بقوله تعـالى : «لسان الذين يلحدون إليه – أي: (يميلون ويشيرون إليه)–أعجمي» لأنهم زعموا أن غلاماً يسمى جبرا. كان رومياً نصرانياً وكان عبداً لبعض بني الحضرمي هو =

١٢٥ ثانياً : انه قد تواتر عند قومه أنهم كانوا يقولون أنـــه لم يكن يجتمع به من يعلمه .

١٢٦ ثالثاً : انه لو كانت هـــذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوتهم له ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه . ولو أظهروا ذلك لنقل وعرف . فإن هذا من الحوادث التي تتوافر لهم الدواعي على نقلها .

١٢٧ رابعاً : انه ﷺ حين بعث كان الناس إما مشركاً، وإمّا كتابياً. فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه . وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص ، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها . وقد كانوا أول من دعاهم إلى دينه . وقابلوه بالتكذيب والمعاداة . فلو كان فيهم من علمه ، أو يعلم أنه تعلم من غيره ، لأظهر ذلك .

١٢٨ خامساً : ان مثل هذا لو كان ، لا بد أن يعرفه أحد . ولو من

=الذي يعلمه وقيل غيره . كأبي فكيهة الرومي – « وهذا لسان عربي مبين »: بيّن الفصاحة والبلاغة . والخلاصة أن تهمة ذلك الشيطان المريد للنبي بالتعلم . أو بأنه قد اكتتب من كتب الأولين قد ردها الله كما غبر. هذا مـــع العلم أنهم لا يخرجونه من الأمية . لأن التعلم والتحفظ لقصة أو لشعر قد يصدران من أمي. وكم من أمي يحفظ قصائد وخطباً . وإنما القصد أنه لا يقرأ من كتاب .

خواص الناس ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك .
ولا بد أن يشيع خبره ولو تواصوا بكتمانه .

كما شاع ما كتم من أمر الدولة الباطنية،ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه ، وعلمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن . كما عرف في نظائر ذلك . فكيف وكان آخص أصحابه وأعلمهم بحاله أعظم محبة وموالاة له. بخلاف حال من يبطن بخلاف ما يظهر، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن [1] .

---

(١) يريد الشيخ « رحمه الله تعالى » بهذا إقامة الأدلة على نبوته ﷺ،وصدق رسالته . ومن الأدلة على هذا المرام ، كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب . وقد أتى بهذا القرآن الذي قد أعجز البشر. فلو كان يعرف أن يقرأ كتاباً أو يكتب كتاباً ، لتطرق الطعن وقالوا: قد تعلّم من فلان. ومهما كتم أمره وأخفى أميته لا بد أن يعرفه خواص أصحابه ، إن لم يعرفه سائر الناس. وإذا عرف الخواص أنه يبطن خلاف ما يظهر . لا يصدقونه ذلك التصديق الذي بذلوا من أجله كل نفس ونفيس ، وغال ورخيص . وكان ﷺ أحب إليهم من أبنائهم وأخوالهم وأقربائهم وعشيرتهم . لما يشاهدون من أخلاقه العظيمة ، وأمانته وصدقه. حتى كانوا يسمونه بالأمين ، قبل أن يأتيه الوحي المبين .

وناهيك بشيخ الإسلام ابن تيمية علماً ومعرفة وإطلاعاً واسعاً بالمنقول والمعقول . لا سيما علم الحديث والتفسير والمنطق والأصول. حتى قال بعض العلماء في سعة إطلاعه في الحديث: «إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث». – إلا أن الإحاطة لله – .

فإذا كان مثل شيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، والحافظ العسقلاني والقاضي =

قال سيد قطب في :

ظلال القرآن

١٢٩ تحت قوله : « ومـــا كنت تتلوا من قبله من كتاب .. » الآية ...وهكذا! يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها . فرسول الله ﷺ عاش بينهم فترة طويلة من حياته لا يقرأ ولا يكتب . ثم جاءهم بهـــذا الكتاب العجيب ، الذي يعجز القارئين الكاتبين ، ولربما كانت تكون لهم شبهة ، لو أنه من قبل كان قارئاً وكاتباً . فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم .؟ اهـ .

١٣٠ والتفاسير كلها على هذا النهج الواضح ، فلا حاجـة إلى الإطالة وأحسب أني بهذه النقول النفيسة من أقوال المفسرين القدماء والمحدثين. قد أرويت غليل القـارىء ، وأشفيت داء المشاغب ، وظهر بأجلى

= عياض ، والإمام النووي ، والحافظ السيوطي . وأمثالهم ممن عُنوا بدرس العلوم – لا سيما علم التفسير والحديث – وعلم الحديث يبحث عن أقوال الرسول وأفعاله وتقاريره – كما هو معروف – إذا كان كل هؤلاء نفوا عن النبي ﷺ الكتابة ، لا قبل النبوة ولا بعدها . فكيف أثبت الاستاذ أنه ﷺ كان مثقفاً ولم يكن أمياً .؟ إن هذا إلا اختلاق .

بيان ، أن لا مستند لذلك الزعم الفاسد ، المبني على شفا جرف هار ، فانهار بقائله في هوة الخطأ والضلال . وكل مــا في الأمر أن بعض المفسرين يذكر خلاف الباجي ومن وافقه . وبعضهم يقول : يجوز أن يعرف القراءة والكتابة بعد أن ثبتت أميته ـ قبل النبوة،وعند البعثة وبعـد نزول كثير من القرآن ، ويجعل معرفتـه معجزة أخرى ـ وهذا كما ترى احتمال ، وتجويز ليس عليه برهـان يثبت ، أمـام الآيات والأحـاديث وأقوال السلف من الصحابة والتابعين والمفسرين والمحدثين والمؤرخين .

وما كل ما يجوزه العقل يكون بالفعل قد وقع. فإذا جوّز عقل بعضهم أن يعرف القراءة . فنعارضه بعقول الأكثرية الساحقة من المسلمين ، على اختلاف أنواعهم ، وتعدد علومهم ومشاربهم بعـدم تجويز ذلك .

فماذا يقول المعارض .؟

فلو كان كل قول يقبل من قائله بغير حجة صحيحة من كتاب أو سنة ، لقال من شاء في الدين ما شاء بهواه ورأيه ، وزبالة أفكاره، ونخالة ذهنه ، وكساد عقله ، وسقم بيانه .

وبالرغم من ذلك كله ، فالحمد لله لم يذكر أحد منهم ، ما ذكره الأستاذ ـ هداه الله إلى سواء السبيل ـ من ان النبي كان متعلماً، وكان

بمكة مدارس للبنات وللبنين ، كما سيأتي .

إن هذا إلاّ من عندياته ، التي قلد فيها حفنة من المستشرقين الذين ديدنهم تشويه الإسلام ونبيه ، بكل مـــا أوتوا من أساليب المكر والخداع ، والدس الرخيص فيما ألّفوه من كتبهم الضالة، التي جنت على المسلمين شراً مستطيراً ، وتأثرت بهذه الكتب طائفة من المسلمين. فخرجوا على الناس بكتب جديدة ، مشحونة بآراء سقيمة ، تتنافى مع مبادىء الإسلام ، وتعاليمه السديدة ، حتى تجرأ بعضهم فطعن في بعض الصحابة ، وتجرأ بعضهم وطعن في الحديث كله ، وقـــال : يكفينا كتاب الله .!!

وانتقد بعضهم كثيراً من الأحاديث الصحيحة وكثيراً من تعاليم الدين الحنيف ، مما لا مجال هنا للبيان عنه .

لأن غرضنا تفنيد مزاعم حضرة الأستـاذ الهندي في خصوص ما أنشأنا له هذا الكتاب .

وإنما القصد من هذا الكلام ، البيـان الشافي للقراء ، ولسائر من يقف على هذا الكتاب . ان ما شذ به هـذا الأستاذ ، قطرة من بحر أولئك الكفرة الفاجرين.

فصل

١٣١ حيث ان الهندي تمسك بكتاب صلح الحديبية من أجل ما جاء في رواية للبخاري . أنه لما لم يرض سهيل بن عمرو ، أن يُكتب « محمد رسول الله » أمر ﷺ علياً بحذف جملة « رسول الله » فلم يوافق علي" على حذف تلك الجملة . فحذفها النبي ﷺ بيـــده . وكتب بدلاً عنها . محمد بن عبد الله ».

احتج الأستاذ على نفي الأمية عنه بهذه الحجة[١] ، وهي في الحقيقة

---

(١) إن هذا الزاعم ، لعله قد قرأ في الكتب ،أن الباجي رحمه الله ،وشيخه أبا ذر الهروي وافقه على أن النبي ﷺ كتب في صلح الحديبية هذه الجملة ، فقلده. ولكن جهل أو تجاهل أن الباجي معترف بأميته ﷺ حتى كتابة هذه الجملة . وأن كتابته لهذه الجملة - على زعم الباجي - لا تخرجه من حيز الأمية ، وإنمـــا كانت على سبيل خرق العادة . فأخذ من قول الباجي في كتابة صلح الحديبية ، ونفى عنه الأمية مطلقاً . آخذاً بقول بعض المستشرقين . فلفق قوله بين قول كافر معاد للإسلام ، وبين قول عالم أخطأ في إجتهاده . ليوهم المسلمين أنه لم ينفرد =

ليست بحجة . لأن للبخاري رواية أخرى ، أن علياً هو الذي كتب « محمد بن عبدالله » كما سيأتي بيانها .

١٣٢ وها نحن نسوق إلى القارىء من السير النبوية المعتمدة ، في صلح الحديبية ما يتضح به بطلان ما يدعيه هذا الشاذ في هذا القيل . هدانا الله وإياه سواء السبيل .

ثم نأتي برواية البخاري التي احتج بها ، والرواية الأخرى. وكلام العلماء واجوبتهم . حتى لا يتطرق أدنى شك وريب في أميته ﷺ .

وإن ما احتج به حضرة الأستاذ ، وقبله الباجي ومن وافقه ، في خصوص كتابة تلك الجملة السالفة الذكر في صلح الحديبية ، مبني على فهم خاطىء لا معول عليه .

وإلى القارىء البيان عن صلح الحديبية : ملخصاً من سيرة إبن هشام .

١٣٣ في أواخر سنة ست من الهجرة النبوية ، عقد رسول الله ﷺ عزمه مع جملة من أصحابه بلغوا ألفاً وأربعمائة بأن يأتوا البيت

= بهذه المقالة، وليس الأمر كذلك،بل لم يقل أحد من المسلمين بما قال هذا الزاعم أبداً ، وقد سبق غير مرة بيان هذا المرام . كما ستأتي الأجوبة الشافية إن شاء الله تعالى في رد مزاعم هذا الزاعم وبالله التوفيق .

معتمرين . وكان رسول الله ﷺ قد أخبرهم بان ياتوا البيت معتمرين لرؤيا رآها .

١٣٤ فخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار . ومن لحق به من العرب . وساق معه من الهـــدي سبعين بدنة ، وأحرم بالعمرة مس ذي الحليفة ليامن الناس من حربه ، وليعلموا أنه خرج زائراً للبيت ومعظماً .

فلما وصل رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى الحديبية[1] أتاه بعض من قريش يستفسره عن مراده . فأخبره أنه ما أتى لحرب . وإنمـا أتى زائراً للبيت ومعتمراً . فرجع هـذا المرسل من قبل قريش إليهم ، فاخبرهم بمراد الرسول ﷺ . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص . فقال له ما قـــال للأول . ثم بعثوا الحليس بن علقمة ، وكان يومئذ سيد الأحابيش . فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا من قوم يتالهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه.

١٣٥ فلما رأى الهدي يسيل من عرض الوادي في قلائــده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله . رجـــع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، وقال لهم ذلك . فاجابوه : بانك

---

(١) يقال الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . وأهــل الحديث يقولون الحديبيّة بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، أهل الحديث يشددون الراء وعكسهم أهل العربية .

أعرابي لا علم لك . ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد جمعت أوشاب[1] الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك[2] لتفضها بهم . إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل[3] قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً .

١٣٦ وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. وابو بكر الصديق كان خلف رسول الله ﷺ قاعداً . وقال له : امصص بظر اللات . أنحن ننكشف عنه . قال من هذا يا محمد . قال : هذا إبن أبي قحافة. قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافاتك بها ، ولكن هذه بها . ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل ان نصل إليك . ويقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك .

فكلمه رسول الله ﷺ بنحو ما كلم أصحابه ، وأخبره بانه لم يات يريد حرباً .

---

(١) أخلاطاً من الناس .

(٢) بيضتك : يعني قومك .

(٣) العوذ : جمع عائذ . وهي الناقة التي معها ولدها . يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ؛ ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً وأصحابه – في زعمه – .

١٣٧ فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا إبتدروا وضوءه . ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش وقال : يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر والنجاشي . وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قطّ مثل محمد في أصحابه . وقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم.

١٣٨ ثم أرسل رسول الله ﷺ خراشة بن أمية الخزاعي ، إلى قريش ليبلغ أشرافهم عما جاء له . فعقروا جمل رسول الله ﷺ الذي كان يركبه خراشة ، وأرادوا قتله . فمنعته الأحابيش. فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ .

وأراد أن يرسل عمر بن الخطاب فاعتذر أن ليس بمكة من بني عدي أحد يمنعه من أذاهم ، وقد عرفت قريش عداوته لهم . وأشار بأن يرسل عثمان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان ، وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته .

١٣٩ ولما جاء عثمان أبا سفيان وعظماء قريش ، وبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به . فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال ، ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها .

١٤٠ فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ، أن عثمان قد قتل . وحينئذ دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وأنزل الله سورة الفتح ، ونوّه بالبيعة[١] بهذه الآية :

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم . فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما .. إلى قوله : وكان الله على كل شيء قديراً ».

ثم جاء الخبر أن عثمان لم يقتل .

١٤١ ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وقالوا : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة .

فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ جرى النقاش بينهما... وأخيراً تم الاتفاق على الصلح بشروط :

«١» وضع الحرب عن الناس عشر سنين .

«٢» أن من أتى محمداً بغير إذن وليه رده ، ومن جاء قريشاً ممن

---

(١) كانت البيعة : قيل على الموت ، وقيل : على أن لا يفرّوا ، بل يناجزوا قريشاً .

مع محمد لم يردّوه عليه .

«٣» أن من أحب أن يدخـل في عقد محمد وعهده دخل فيه . وأن من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقـد محمد وعهده . ودخلت بنو بكر في عهد قريش وعهدهم .

«٤» أن يرجع هذا العام ويأتي العام القابل بأصحابه ، يقيم بها ثلاثاً مع سلاح الراكب « السيوف في القرب » .

١٤٢ فلما تم الصلح ولم يبـق إلا الكتاب . وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله .؟ قال بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟. قال بلى . قال . أوليسوا بالمشركين؟. قال بلى. قال .فعلام نعطي الدنية في ديننا .؟ قـال أبو بكر : يا عمر : إلزم غرزه ـ اي : ركابه ـ فاني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقـال يا رسول الله : ألست برسول الله ؟. قال بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟. قال بلى . قال : أوليسوا بالمشركين؟. قال بلى . قال : فعـلام نعطي الدنية في ديننا .؟. قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني .

فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصـلي وأصوم وأعتق من

الذي صنعت يومئذ . مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

١٤٣ ثم دعا رسول الله ﷺ ، علي بن ابي طالب . فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هـذا . اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ اكتب بإسمك اللهم ، فكتبها . ثم قال : اكتب ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، سهيل بن عمرو . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . فقـال رسول الله ﷺ : اكتب[1] هذا ما صالـح عليه محمد بن عبدالله ، سهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب عن الناس مـدة عشر سنين . إلى آخر ما جاء من الشروط .

---

(١) قف هنا أيها القارىء . وتأمل . ترى الخطابات كلها موجهة إلى علي بن أبي طالب لأنه هو الذي تولى كتابة عقد الصلح ، ولم يكتب رسول الله ﷺ حرفاً واحداً . **أولا** : قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم يخاطب علياً . **ثانياً** : اكتب بإسمك اللهم . **ثالثاً** : أكتب هـذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله . وغني عن البيان أن أكتب ، فعل أمر . والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت . والمخاطب عليّ ، كما هو جليّ .

جاء فيها :

١٤٤ لما علمت قريش بيعة الأصحاب له ﷺ ، ـ عندما جاء الخبر بقتل عثمان ـ خافوا ، وأشار أهل الرأي بالصلح. على أن يرجع ويعود من قابل ، فيقيموا ثلاثاً ومعهم سلاح الراكب ...

وذهب يحدثنا الشيخ الحلبي عن تفاصيل الحديبية حتى أتى على الشروط التي اشترطها سهيل . وذكر ما ذكره إبن هشام عن إستفهام عمر أبا بكر والرسول ﷺ . ثم ذكر رواية اخرى .

أفاد أن عمر ذكر لرسول الله ﷺ أولاً : ألست برسول الله ﷺ . الخ. ثم أتى أبا بكر .

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب لكتابة عقد الصلح، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا . ـ أي : الرحمن الرحيم ـ ولكن اكتب باسمك اللهم .

ثم قال اكتب ، هذا ما صالح عليه رسول الله ، سهيل بن عمرو .

فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت . ولكن اكتب بإسمك واسم أبيك . وفي لفظ :

لو أعلم انك رسول الله ما خالفتك واتبعتك. أفترغب عن اسمك واسم أبيك .

فقال رسول الله ﷺ لعلي أمحه . وفي لفظ : أمح رسول الله .

فقال علي : ما أنا بالذي أمحاه . وفي لفظ : لا أمحوك . وفي لفظ : والله لا أمحوك .

فقال : أرنيه . فاراه إياه . فمحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة .

وقال : أكتب ، هـذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ، سهيل بن عمرو . وقال : أنا رسول الله وإن كذبتموني . وأنا محمد بن عبدالله اهـ. ملخصاً .

١٤٥ وقد رأيت ان الشيخ علي برهان الدين الحلبي قد بسط وأبان أكثر من إبن هشام (رحمه الله) حيث قال ، ناقلاً عن الرسول ﷺ في خطابه «أرنيه» أي: كلمة «رسول الله»، فأراه إياها . فمحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة . ثم وجّـه الخطاب لعليّ مرة أخرى، وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ... الخ

فلو كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب ، لما كان له حاجة أن يقول لعليّ «أرنيه» . إذ القارىء لا يحتاج أن يقول لشخص آخر أرني جملة كذا أو كلمة كذا .

فاستبان الأمر ، ووضح النهار لذي عينين من هـــذه العبارة الصريحة . من أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يقرأ ولا يكتب .

١٤٦ وفي « سيرة السيد أحمد زيني دحـــلان » وكتاب « حياة سيد العرب » لحسين باسلامه . نحو ما جاء في السيرة الحلبية .

وفي كتاب « حياة محمد » لمحمد حسين هيكل نحو ما ذكره إبن هشام .

١٤٧ وفي « مختصر سـيرة الرسول » ﷺ للشيخ عبدالله إبن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . (رح) .

نحو ما تقدم عن أهل السير . وأضاف قائلاً رحمه الله :

« وفي رواية للبخاري ولمسلم : فقال النبي ﷺ لعليّ امحـــه ، فقال : ما أنا بالذي أمحوه .

فقال النبي ﷺ لعليّ أرني مكانهـا ، فاراه مكانها فمحاه . وكتب محمد بن عبدالله » . اه .

١٤٨ فأفاد الشيخ عبدالله أن قول النبي ﷺ لعـليّ امحه ، وجوابه ما أنا بالذي أمحوه . هو من رواية للبخاري ومسلم . وهما المشهوران بالصحيحين .

وليس بعد كتاب الله كتاب أصح من صحيح البخاري ومسلم .

وأعلى الصحيح ما اتفق عليه الشيخان . ثم ما انفرد به البخاري ثم مسلم . كما قال بعضهم :

أعلى الصحيح ما عليه اتفقا   فما روى الجعفي فردا ينتقى

١٤٩ وذكر الحافظ إبن القيّم في « زاد المعاد » في قصة الحديبية . نحو ما ذكره أهل السير . سوى أنه أبهم الكاتب ، ولم يذكر إسمه، ولعل ذلك لشهرته .

قال الحافظ ابن كثير في

« البداية والنهاية »

ج: ٤ : ص ٦٨

« تحت عنوان غزوة الحديبية »

١٥٠ قال بعد كلام سبق ، قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي . إلى رسول الله ﷺ . وقالوا آت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا . فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو . فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا . ثم جرى بينهما الصلح .

وأخذ الحافظ إبن كثير في سياق القصة ، حتى أتى بسياق البخاري لعمرة الحديبية . وذكر عن صحيح البخاري ما ذكره في كتاب المغازي ، ثم قال : وقال : أي : البخاري في كتاب الشروط . وسرد القصة عن إبن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم . يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، إلى أن قال : عن عكرمة : أنه لما جاء سهيل بن عمرو ، قال رسول الله ﷺ ، لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي ﷺ الكاتب. فقال النبي ﷺ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو . ولكن اكتب باسمك اللهم ، كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد ابن عبدالله . فقال رسول الله ﷺ والله إني لرسول الله وإن كذبتموني . اكتب محمد بن عبد الله[1] .

---

(١) أنظر كيف صرح البخاري هنا أن الرسول قال للكاتب أكتب محمد بن =

قال الزهري : وذلك لقوله : « لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » . انتهى المقصود منه .

١٥١ قلت : وقد أخرج البخاري هذا الحديث بطوله تحت عنوان « باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ».

ولا يقال أن هذه الرواية مرسلة ، لأن مروان لا صحبة له . وأما المسور وإن كان صحابياً فإنه لم يحضر القصة . لأنا نقول احتج كثير من العلماء بالمرسل .

وثانياً : ان مرسل الصحابي مقبول على الصحيح المشهور ، الذي قطع به جمهور الشافعية ، وجماهير أهل العلم . وأطبق المحدثون المشترطون للصحيح على الاحتجاج به ، وإدخاله في الصحيح . كما في قواعد التحديث .

وثالثاً : أنه قال في فتح الباري . أن المسور ومروان قد سمعا جماعة من الصحابة قد شهدوا هذه القصة ، كعمر ، وعثمان ، وعليّ ، والمغيرة ، وأم سلمة ، وسهيل بن حنيف. ووقع في نفس هذا الحديث

= عبدالله . وبهذا تعلم أن الرواية التي في عمرة القضاء – التي احتج بها الهندي ، وقبله الباجي ومن وافقه ، وسوف تأتي – لا تنافي هذه الرواية . بل هذه الرواية تفسر تلك .

ما يدل على أنه سمع من عمر .

ثم ذكر الحافظ عندما جـاء أبو جندل وردّه النبي ﷺ . وقال عمر : فأتيت النبي ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً. هذا مما يقوي أن الذي حدث المسور ومروان بقصة الحديبية ، هو عمر بن الخطاب . وإذا ثبت السماع ، فقد صار الحديث متصلاً غير منقطع .

قال « درمنغام الفرنسي » في كتابه

« حياة محمد[1] »

الفصل الثاني والعشرين تحت عنوان « الحديبية »

١٥٢ قال : « والمسلمون كانوا يتأهبون للقتال[2] أتاهم من أخبرهم بأن عثمان لا يزال حيّاً. وأنه آت مع مندوب من قريش للمفاوضة، أرسلت قريش سهيل بن عمرو ليعرض على النبي ﷺ الصلح ...

وذكر الكاتب ما ذكر كتّاب السير . إلى أن قال: قـال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب إسمك واسم أبيك.

---

(١) ترجمة محمد عادل زعيتر .

(٢) عندما بلغهم أن عثمان قد قتل . جمع النبي صلى الله عليه وسلم ، أصحابه تحت شجرة ، وبايعوه على الموت . وقيل : على أن لا يفروا .

فقال النبي ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو .

وافق النبي ﷺ على هذا التعديل الشكلي لينال ما بوده من الأمور الجوهرية . فلم يرض عليّ أن يمحو كلمة « رسول الله » كما طلب سهيل . فمحاها[1] النبي بيده الشريفة » .

وقال : « اتيين دينيه الفرنسي » في كتابه

« محمد رسول الله[2] »

تحت عنوان « معاهدة الحديبية »

١٥٣ عندما ذكر مجيء سهيل، والإتفاق على الشروط ومراجعة عمر.. وقال الرسول ﷺ لعليّ بعد ذلك اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم .

---

(١) أي : بعد ما طلب من عليّ أن يريه مكان الجملة ، فأراه إياها . ولا يضرنا أن الكاتب لم يذكر « ارني إياها » . لأن السير قد نصت على ذلك. فانظر كيف يصرح هذا الفرنسي . أن النبي ﷺ قال لعليّ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ، ولم يقل كما قال الهندي . !!

(٢) ترجمة الدكتور محمد عبد الحليم محمود ، والدكتور عبد الحليم محمد ، ولد المؤلف سنة ١٨٦١م ، وأحب العلوم الإسلامية ، وله عدة مؤلفات منها :
كتاب « حياة العرب » ، وكتاب « الشرق كما يراه الغرب » . وقد ألف هذا الكتاب حينما كان مسيحياً .

فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم ، هـذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . فقال النبي ﷺ ، اكتب: هذا ما صالح عليه محمد إبن عبد الله[1] ، سهيل بن عمرو . إصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ... الخ

ولو ذهبنا نذكر لك أيها القارىء . ما كتبه أهل السير في هذا الشأن أكثر مما أوردناه لطال الكلام . وقد أريناك ما فيه الكفاية ، وبالله التوفيق .

---

(١) أيها القارىء الكريم : إقرأ كلام هـذا الفرنسي . « فقال النبي » - والخطاب لعليّ قطعاً - اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله. فترى النص الصريح الذي لا يقبل التأويل ولا المناقشة ، بأن النبي ﷺ لم يكتب . وأن الكاتب هو : عليّ بن أبي طالب (رض) .

ودرمنغام ، ودينيه ، كلاهما فرنسيان . وإن كان دينيه في آخر عمره قد أسلم . وقد ذكر ما ذكره المسلمون من أهـل السير والتواريخ . ولكن ألف كتابه « محمد رسول الله » قبل إسلامه .

فصل

١٥٤ قد سبق أن قلنا ، أن الهندي تمسك برواية في صحيح البخاري تدعيماً لدعواه.

ووعدنا أن نورد تلك الرواية وكلام الشارحين لبيان حقيقة المرام . وأن لا مستند له . وكل ما في الأمر أنه تمسك بفهم خاطىء ، وبقول سخيف ، ورواية ضعيفة . ووفاءاً بوعدنا نقول :

قد ذكر الإمام البخاري في كتاب الصلح : تحت عنوان « باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ابن فلان ، وفلان ابن فلان ، وإن لم ينسبه إلى نسبه او قبيلته » قال :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ابن أبي إسحاق . قال : سمعت البراء بن عازب (رض) قال : لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب عليّ بينهم كتاباً ، فكتب محمد رسول الله . فقال المشركون : لا تكتب محمد رسول الله . لو

كنت رسولاً لم نقاتلك . فقال لعلي" أمحه . فقال علي" ما أنا بالذي أمحاه[1] . فمحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام[2] ولا يدخلوها إلا" بجلّبان السلاح ، فسالوه ما جلبان السلاح ؟ فقال : القراب بما فيه .

١٥٥ حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن ابي إسحاق عن البراء . قال :

لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة ، فابى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام. فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، وقالوا لا نقرُّ بها . فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك[3] ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . فقال : وأنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ، ثم قال لعلي" أمح «رسول الله[4] » . قال لا والله لا أمحوك أبداً . فاخذ رسول الله الكتاب .

---

(١) إمتناع علي" عن محو ما أمره الرسول لعلمه بالقرائن أن الأمر ليس للايجاب .

(٢) أي : من العام المقبل .

(٣) ما منعناك : وعند النسائي ما منعناك بيته .

(٤) يجوز بالرفع على الحكاية . ويجوز بالنصب لكونه منصوباً على المفعولية . قال الحافظ إبن حجر ووقع في رواية يوسف بعد فقال لعلي أمح رسول الله فقال لا والله لا أمحاه أبداً . قال فأرنيه ، فأراه إياها . فمحاه النبي ﷺ بيده ، ونحوه في رواية زكريا عند مسلم .

فكتب هـذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، لا يدخل مكة سلاح إلا بالقراب ... الحديث .

١٥٦ وأخرج هذا الحديث أيضاً . في باب عمرة القضاء وفيه : فأخذ رسول الله الكتاب، وليس يحسن يكتب ، فكتب هذا ما قاضى محمد ابن عبد الله .

وأخرج في « باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط » ، عن عروة إبن الزبير ، عـن المسور بن مخرمة ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، ـ وهو حديث طويل ـ .

وقد سبق بيان المقصود منه من البداية والنهاية[1] لإبن كثير رحمه الله تعالى .

واليـك

١٥٧ (شرح الحديث من فتح الباري)

قال الحافظ إبن حجر تحت جملة « فاخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله » .

---

(١) قد سبق في هذه الرواية ، أن النبي ﷺ قال لعلي اكتب محمد بن عبدالله فراجعه مع التعليق عليه تحت رقم ١٥٣ صفحة ١٤٣ .

أثبت الحافظ كلمة « وليس يحسن يكتب » ردّاً على من أنكرها، نافياً نسبتها إلى تخريج البخاري . وأيّد الحافظ وجود هـذه اللفظة زيادة على ما سلف ، بالرواية الـــتي أخرجها النسائي : عن أحمد بن سليمان ، عن عبيد الله بن موسى – مثل ما ههنا –[1] .

وكذا أخرج أحمـد عن إسرائيل . ولفظه . فأخذ الكتاب ، وليس يحسن أن يكتب، فكتب مكان رسول الله . هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله .

ثم قال الحافظ: وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي، فادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب .

فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ، ورموه بالزندقة ، وأن الذي قاله يخالف القرآن . حتى قال قائلهم :

برأت ممـــن شرى دنيا بآخرة

وقال أن رسول الله قـد كتبا

---

(١) قدمنا لك كلام الحافظ إبن كثير ، وصاحب البحر المحيط ، والقرطبي عن الباجي وتشنيع العلماء عليه . وقد يتكرر النقل عن العلماء في بعض المواضع وتتكرر بعض العبارات لأجل التأكيد في ذهـــن القارىء . ولبيان إستنكار العلماء لكلام الباجي. وقد تتكرر العبارة لزيادة فائدة خلت عنها العبارة السابقة ولا يخلو كتاب من تكرار .

ثم ذكر عن الباجي،أنه لا مانع من أن يعرف الكتابة بغير تعليم، بعد أن أمن الإرتياب من المبطلين ، فتكون معجزة أخرى .

وذكر إبن دحية أن جماعة وافقوه.منهم شيخه أبو ذر الهروي، وابو الفتح النيسابوري . ثم ذكر عن إبن كبشة السلولي ،عن سهل بن الحنظلية : أن النبي ﷺ أمر معاويـة أن يكتب للأقرع وعيينة . فقال عيينة : أتراني أذهب بصحيفة المتلمس . فأخذ رسول الله ﷺ الصحيفة فنظر فيها فقال: قد كتب لك بما أمر لك .

١٥٨ وأجاب الجمهور بضعف هـذه الأحاديث . وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة ، والكاتب فيها عليّ . وقد صرح في حديث المسور بان علياً هو الذي كتب . فيحمل على أن النكتة في قوله : « فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب » ، لبيان أن قوله : « أرني إياها » أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة الـتي امتنع عليّ من محوها ، إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة .

وعلى أن قوله بعد ذلك : « فكتب » فيه حذف تقديره : « فمحاها فأعادها لعليّ فكتب ».

وبهذا جزم إبن التين[1] .

---

(١) وبقية الأجوبة تأتي عند ذكر شبهات الهندي .
وفي شرح العلامة العيني والقسطلاني على هـذا الحديث كما في الفتح ولكن باختصار .

١٥٩ ونقدم للقارىء إخراج مسلم لهذا الحديث لتنجلي الحقيقة أكثر من قبل .

أخرج مسلم ، عن إبن إسحاق ،عن البراء. قال: لما أحصر النبي ﷺ عند البيت ، صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً ، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ، ولا يخرج ومعه أحد من أهلها . ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه .

قال لعليّ اكتب الشرط بيننا . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله .

فقال له المشركون : لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ، ولكن اكتب محمد بن عبدالله . فامر علياً ان يمحاها . فقال عليّ : لا والله لا أمحاها . فقال رسول الله ﷺ أرني مكانها . فأراه مكانها فمحاها وكتب إبن عبدالله . اه .

١٦٠ وهل بعد قوله أرني مكانها ، فأراه مكانها فمحاها ، يبقى شك لذي لب في أمية الرسول ، وعدم معرفته القراءة والكتابة .!!

فلو كان قارئاً لما احتاج أن يريه عليّ مكان الكلمة ، وإذا لم يكن عارفاً بالقراءة فمن باب أولى أن يكون غير عارف بالكتابة . وهذا واضح لا غبار عليه .

كما أن هـــذا يوضح لنا أن قوله : وكتب إبن عبدالله . أنه أمر علياً بالكتابة بعد أن محاها بيده الشريفة عندما أراه عليّ مكانها .

النووي في شرح مسلم

١٦١ ذكر رحمه الله احتجاج بعض الناس ـ كالباجي ومن وافقه ـ بالحديث المار ، على أن الرسول قد كتب تلك الكلمة بيده ، وأنه كان على سبيل المعجزة . وعقبه بقوله : « ذهب الأكثرون إلى منع هذا كله قالوا : وهذا الذي زعمه الذاهبون إلى القول الأول ، يبطله وصف الله إياه بالنبي الأمي ، وقوله : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ .. [1] » الآية . وقوله ﷺ « إنا أمة أمية .. » الحديث . إلى أن قال :

« واحتجوا بالرواية الأخرى ، وهي : وقال لعلي أكتب محمد بن عبد الله » انتهى .

فقد ظهر مما أوردناه من روايتي البخاري ، ومما أخرجه مسلم ، أن الرواية الـــتي احتج بها الهندي وقبله الباجي ، فسّرتها الرواية الأخرى للبخاري ، كما فسّرتها الرواية التي أخرجها الإمام مسلم.وعليه فقد انجلى الغبار ، وعرف الأستاذ أفرس تحته أم حمار .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

قال :

القاضي عياض في كتابه (الشفاء)

١٦٢ ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما جمعه الله له من المعارف[١] ، والعلوم[٢] ، وخصه من الإطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته في أمور الشرائع وقوانين[٣] دينه ، وسياسة عباده ومصالح أمته ، ومعرفته ما كان في الأمم قبله[٤] ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة . والقرون الماضية من لدن[٥] آدم إلى زمنه ، وحفظ شرائعهم وكتبهم ، ووعي سيرتهم ، وسرد أنبائهم . وأيام[٦] الله فيهم ، واختلاف آرائهم . ومعارضته كل فرقة من أهل الكتابين لما في كتبهم . وإعلامهم بأسرارها ، وإخبارهم بما كتبوه من ذلك وغيّروه . إلى الاحتواء على لغات العرب ، وغريب ألفاظ فرقها ، والإحاطة

---

(١) الجزئية .

(٢) الكلية .

(٣) القواعد الكلية المتدرجة تحته الفروع الجزئية .

(٤) من أحوالهم ، وما جرى لهم من نجاة وهلاك .

(٥) بضم الدال ، وسكون النون ، وسكون الدال ، وكسر النون . وهو ظرف زمان .

(٦) وقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة .

بضروب فصاحتها . والحفظ لأيامها وأمثالها . وحكمها ، ومعاني أشعارها . والتخصص بجوامع كلمها . إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل فيما أنزل علينا . إلى الاحتواء على ضروب العلم ، وفنون المعارف ، كالطب[1] ، والتعبير ، والفرائض ، والحساب ، والنسب ، وغير ذلك من العلوم . مما اتخذه أهل هذه المعارف كلامه فيها قدوة وأصولاً . وإخباره بالمغيبات الآتية[2] ، إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ، ولا يقوم به ، ولا ببعضه ، إلا من مارس الدرس[3] ومباحثة أهلها عمره ، وهو رجل أميّ كما قال الله في حقه : « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ » . لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة من هذه صنعته[4] . ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة

---

(١) بكسر الطاء وتثلث .

(٢) كحديث : « إن إبني هذا سيّد – مشيراً الى الحسن بن علي – وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وقد وقع ما أخبر . وذلك لصلحه مع معاوية . وكقوله : « الخلافة ثلاثون سنة . ثم تكون ملكاً عضوضاً » . وكقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم . كما تتداعى الأكلة على قصعتها » . الحديث . وما أخبر من أنه سيحدث التطاول في البنيان ، وكثرة القتل ، وشرب الخمور ، ولبس الحرير ، ومنع الزكوات . .الى غير ذلك مما يطول بيانه ويعز إستقصاؤه .

(٣) دوام الدراسة .

(٤) بصاحبة أهل الدراسة والكتابة والقراءة .

بشيء من هذه الأمور . ولا عرف هو قبل[1] بشيء منها[2] . قال الله : « ومـا كنت تتلوا من قبله من كتاب[3] ولاتخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون[4] ».

١٦٣ ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه إلا قولهم : « أساطير الأولين » « وإنما يعلمه بشر ». وقد تولى الله جوابهم بقوله : « ومـا كنت تتلوا من قبله من كتاب » . كما رد عليهم في الآية الثانية بقوله: « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين ».

ثم ما قالوه مكابرة للعيان. فإن الذي نسبوا تعليمه إليه، إما سلمان أو العبد الرومي . وسلمان إنما عرفـه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن . وأما الرومي فكان أسلم ، وكان يقرأ على النبي ﷺ . وقيل:

---

(١) قبل بعثته ودعوى نبوته .

(٢) من أمور القراءة والدراسة والكتابة .

(٣) قال العلامة علي القاري . من الكتب الإلهية وغيرها .

(٤) قال علي القاري . والحاصل أن صدور هـذا النور ، وظهور هذه الأمور على يد الأمي أظهر معجزة ، وأبهر كرامة ، وأبعد شبهة مما لو ظهر على يد القارىء الكاتب ، لاسيما قـد كان يحصل الإرتياب لأهل الكتاب ، لكونه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل . والجمهور على أنه ﷺ لم يكتب . وقيل : كتب مرة واحـدة ، وهو قول الباجي — يشير إلى صلح الحديبية — .

بل كان النبي يجلس عنده عند المروة !! وكلاهما أعجمي اللسان[1] وهم الفصحاء والخطباء . انتهى بتلخيص وتفسير يسير .

إعتراف الباجي باستمرار أميته ﷺ

١٦٤ بما أن العلامة الباجي هو أول من زعم ذلك الزعم الخاطىء ، وقلده بعضهم ، وصار كلامه ذريعة لبعض الضالين والمضلين الزاعمين نفي أميته ﷺ . فها أنا أنقل لك أيها القارىء كلام الباجي . لتعلم أنه وإن قال ما قال ، فلم يخرجه ﷺ من حيز الأمية ، بل صرح بأُميته عليه الصلاة والسلام .

قال :

في نفح الطيب

ج:٢ ، ص٢٧٣

١٦٥ بعد كلام سبق حول ثورة العلماء على الباجي وحكمهم عليه بالخطإ فيما زعمه من كتابته ﷺ جملة « محمد بن عبدالله » في صلح الحديبية . قال : صنف ابو الوليد الباجي رسالة بيّن فيها إذ ذاك أنه غير قادح في المعجزة . إذ من عرف أن يكتب إسمه فقط ليس بخارج عن الأمية .

---

(١) أي سلمان والرومي .

لأنه لا يسمى كتاباً. وجماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة[1] وهم أميون. والحكم للغالب لا للصورة النادرة. اهـ.

إستنكار العلماء كلام الباجي

١٦٦ ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية. الذي في البخاري، قال بظاهر لفظه. فانكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره، بإجازة الكتْب[2] على الرسول ﷺ، وأنه تكذيب للقرآن الكريم، وأثاروا عليه الفتنة، وقبحوا عليه عند العامة ما أتى به.

وقال

القاضي ابو الفضل عياض:

١٦٧ حدثنا محمد بن علي المعروف بإبن الصيقل الشاطري من لفظه، قال: حدثني أبو الحسن بن مفوز قال: كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الحصواري من أهل «شُقَرْ»، ممن لازم الباجي وتفقه عليه، وكان يميل إلى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي ﷺ الكتابة

---

(١) لعله يريد التوقيع.

(٢) بفتح الكاف، وسكون التاء. مصدر كتب.

بيده في حديث المقاضاة في الحديبية ، على ما جـاء في ظاهر بعض الروايات ويعجب به ، وكنت أنكر عليه .

فلما كان بعد برهة أتاني زائراً على عادته . وأعلمني أن رجلاً من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة ، وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي ﷺ أمامه ، فتحدث له قشعريرة وهيبة عظيمة ، ثم يراه ينشق ويميد ولا يستقر ، فيعتريه منه فزع عظيم. وسالني عن تعبير رؤياه:

فقلت : أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله بغير صفته ، أو ينحله ما ليس له بأهل ، أو لعله يفتري عليه . فسالني بالله من أين قلت هذا .؟

قلت : من قول الله «تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدا ومـا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ».

فقال لي لله درك يا سيدي . وأقبل يقبل رأسي وبـين عيني ، ويبكي مرة ويضحك أخرى . ثم قـال لي : أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تاويلك .

قال : أنه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول : والله ما هذا إلا أنني أقول وأعتقد أن رسول الله ﷺ كتب . فكنت أبـكي وأقول : أنا تائب يا رسول الله . وأكرر ذلك مراراً فارى القبر قد

عاد إلى هيئته أولاً ، وسكن فاستيقظت .

ثم قال لي : وأنا أشهد أن رسول الله ما كتب قط حرفاً ، وعليه ألقى الله .

فقلت : الحمد لله الذي أراك البرهان ، فاشكر الله كثيراً[1] . اهـ.

١٦٨ **قال ابن الآبار**: حدثني بهذه الحكاية ابو الربيع بن سالم ــ بقراءتي

---

(١) لا يقال أن الرؤيا في المنام لا تكون حجة يعتمد عليها ، فلماذا يأتي بها المؤلف كمستند له . لأنا نقول : لم نورد هذه الحكاية لنجعلها حجة ودليلاً ، لأن الأدلة على ما أردناه كثيرة تفوق العد ، وقد سبق كثير منها ، وإنما القصد من إيراد هذه الحكاية . **أولاً** : الاستشهاد بها ودعم الأدلة بها . **وثانياً** : لبيان أن نسبة القراءة والكتابة إليه ــ حتى في صلح الحديبية كما قال الباجي ــ ولو مرة واحدة ، أمر منكر ، واستنكاره قد كان مركوزاً في فطر الناس. وكان العلماء ولا زالوا متفقين على إنكار هذا الأمر واستبشاعه ، وتخطئة قائله . حتى كان هذا الرائي مضمراً الميل لقول الباجي ، فرأى ما رأى وعبر الرؤيا ذلك العالم الجليل . ثم أقر الرائي أنه تاب مما كان يميل إليه ، مع العلم أن قول الباجي ومن وافقه ، الخطب فيه سهل لكونهم قالوا : كتب مرة واحدة ، وأنه كان على سبيل خرق العادة . ولم يقولوا كما قال حضرة الأستاذ . ومع ذلك فانظر موقف العلماء واشتداد نكيرهم ، وإعلان غضبهم ومقتهم وسخطهم على الباجي ومن وافقه . فماذا يكون موقف علماء المسلمين اليوم ، من هذا الرجل الذي نسب الى الرسول معرفته القراءة والكتابة قبل النبوة . وأنه كان مثقفاً قبل النبوة . وكان يدير مدرسة ، الى آخر ما أتى من البهتان والإفتراء . وخالف اجماع المسلمين وقلد حفنة من المستشرقين اعداء الله ورسوله وأعداء الدين .

عليه ـ عن الكاتب ابي بكر بن عبد الرحمن بن مغادر ـ قراءة عليه ـ عن القاضي ابي حفص احمد بن عبد الرحمن بن جحدر ، عن ابي الحسن طاهر بن مفوّز قال : كان ابو محمد ... الخ ، وهي أتم من هذه . اهـ .

وإذ سمعت ما تلوناه عليك من كلام الباجي ، ونكير علماء الشرق والغرب عليه ، عرفت مدى وهم قول الهندي . وتبين لك أن قول هذا السابق لا يصلح مستمسكاً لأنه لم يبنه على أساس متين ، ولم يؤيده بحديث أو آي من الكتاب المستبين . وعليه فقد بطل قول الهندي . وزهق باطله . إن الباطل كان زهوقا .

١٦٩ فإن قيل : إن الباجي كان من أكابر العلماء وقد أخذ بظاهر رواية البخاري ، ووافقه بعضهم . ولا يضرنا ويقدح في قولنا أن الجمهور خالفه . وليس بلازم أن يكون الصواب مع الجمهور ، والخطأ قد يلازم من خالفهم . إذ كثيراً ما نرى أن الصواب حليف من يخالف الجمهور .

فالجواب :

أن الأمر كذلك ، ولكن أبو الوليد الباجي «رحمه الله» لم يستند إلى دليل من القرآن العظيم ، ولا إلى سنة صحيحة . قال الشاعر :

وليس كل خلاف جاء معتبراً

إلا خلافاً له حظ من النظر

إذ كل ما اعتمد عليه هو رواية للبخاري. وهذه محمولة على الرواية الأخرى ـ كما سبق غير مرة ـ ومعنا القرآن الكريم يصف النبي بالأمي في آيتين كريمتين من سورة الأعراف.

وأحوال الرسول التي شاهدها أصحابه قد دونت وسجلت صغيرها وكبيرها. من حين الولادة، إلى حين الوفاة، ترد على الباجي وأضرابه، وتزهق باطلهم، وتجرف أسسهم الواهية، ودعواه بأن كتابته معجزة أخرى، قد ردّها السهيلي بما أسلفناه وفي قوله، فتح باب لمفسدة كبيرة. وهي فتح باب الطعن في نبوته. بأنه كان يعرف الكتابة ويكتمها.

وبالفعل. فقد حدث ما خاف من مغبته العلماء السابقون. فقد بلينا ببعض المستشرقين وتلاميذهم، ومن تأثر بكتاباتهم. فقد طفق هؤلاء يبثون مثل هذا القول الشاذ، والرأي الفاسد. ومعلوم أن فيه تكذيباً للرسول، ونسبته إلى الخيانة. إذ كان يعرف الكتابة، ويكتمها. حتى يتمكن من دعوى النبوة. وأنه أتى بأبلغ الكلام. والحال أنه أميّ.

ويظهر أن الباجي «رحمه الله» لم يفكر في هذا القول الفاسد، ونتيجته الوخيمة. ولو فكر لما زعم هذا الزعم الذي أثار عليه العلماء. وكان من جرائه فتح باب للكافرين والحاقدين على نبيّ الإسلام.

فصل

١٦٠ والباجي وأمثاله من القائلين بـأن الرسول كتـب في صلح الحديبية ، على وجه المعجزة. أداهم فهمهم إلى ذلك من رواية البخاري في عمرة القضاء ، وحبهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، وتكثير المعجزات له. ولم يعلموا أنهم بإثباتهم هذا يفتحون الباب على مصراعيه لأعداء الإسلام - كما سبق في المقدمة - وكأنهم لم يدركوا أن أكبر معجزة له ﷺ هو : القرآن العظيم .

ذلك بان الله جـل وعلا ، جعل نبوة محمد ﷺ ورسالته ، قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها . وفي موضوعها . لأن البشر قد بدأوا يدخلون في سن الرشد والإستقلال النوعي . الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة . مخالفة للنظام المالوف في سنن الكون . بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع . بل هو من موانعه .

فجعل صحة نبوة خاتم النبيين ، عـين موضوع نبوته . وهو كتابه المعجز للبشر ، بهدايته ، وبعلومه ، وبإعجازه اللفظي والمعنوي ، وبانباء الغيب الماضية ، والحاضرة ، والآتية فيه . ليربي البشر على الترقي في هذا الإستقلال إلى ما هم مستعدون به من الكمال .

هذا الفصل بين النبوات الخاصة الماضية، والنبوة العامة الباقية.

قد عبر عنه النبي ﷺ بقوله: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ. فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». متفق عليه. من حديث أبي هريرة. اهـ. من الوحي المحمدي.

١٧١ وهذا لا ينافي أن الله تعالى قد أكرم رسوله محمداً ﷺ، بكثير من المعجزات. كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام له، وإخبار ذراع الشاة المسمومة له، وإنشقاق القمر، وحنين الجذع إلى غير ذلك من الآيات الكونية والحسية.

ولكن. المعجزة الكبرى الباقية ما بقي الدهر. والتي عليها المعول. هي: القرآن العظيم الذي تحدى الله به أئمة البلاغة، ورؤساء الفصاحة، وفطاحل البيان بقوله:

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[1]».

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ — ٢٤.

فصل

١٧٢ ومن المستحسن جداً أن ننقل ما ذكره بعض الفضلاء ، الذين عنوا بدراسة السيرة النبوية وكتابتها . في خصوص أمية الرسول ، والرد على من نفاها بادلة قاطعة ، وبراهين ساطعة . يخضع لها كل ذي فهم سليم ، وفكر نيّر .

فمن أولئك الفضلاء : الشيخ محمد رضا مؤلف كتاب « محمد رسول الله » . فقد ذكر فيه فصلاً خاصاً في أميته ﷺ ،وأتى بكلام نفيس ، فريد في بابه . لذا رأيت أن أزين هذا الكتاب بما تمس إليه الحاجة من ذلك الفصل الممتع ، الذي قطع به عرق كل مشاغب ومعاند ، وكفور وجاحد . وألقم المعارضين صخراً .

وهاك ما قال تحت عنوان « النبي الأمي » .

١٧٣ أول ما أنزل عليه ﷺ من القرآن « اقرأ » كما صح ذلك عن

عائشة . وروي ذلك عن أبي موسى الأشعري ، وعبيد بن عمير . قال النووي : وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف .

وقوله « ما أنا بقارىء » أي : اني أميّ فلا أقرأ الكتب .

قال الزجاج : الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة فهو على جبلته . وفي التنزيل العزيز : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ[1] » .

فمعنى الأميين في هذه الآية: الذين لا معرفة لهم بقراءة ولا كتابة.

قال أبو إسحاق : معنى الأميّ ، المنسوب إلى ما عليه جبلة أمه. أي : لا يكتب ، وهو أنه لا يكتب ، أميّ . لأن الكتابة مكتسبة . فكأنه نسب إلى ما ولد عليه . أي : على ما ولدته أمه عليه .

وفي الحديث : « بعثت إلى أمة أمية » .

قيل للعرب ، الأميون : لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة .

هـــذا معنى كلمة « أمي » في اللغة العربيه . وهكذا كان يفهمها العرب .

قال الله في سورة الأعراف : « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٨ .

آلنَّبِيَّ الأُمِّيَّ ٱلَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ في ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ ».

وقال : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ».

١٧٤ وذكر ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره [١] . ثم قال : وقد طالعت ما كتبه الذين تعرضوا لهذا البحث من الافرنج الذين ترجموا حياة النبي ﷺ فوجدت تخبطاً مدهشاً .

فقد بحث الأستاذ « نولدكه » الألماني في كتابه (تاريخ القرآن).

هل كان النبي ﷺ يعرف القراءة والكتابة ؟ فلم يجزم بشيء . بيد أنه زعم أن لفظة « أمي » المذكورة في القرآن ، لا تدل على أنه يجهل القراءة والكتابة . بل تفيد أنه لا يعرف الأسفار القديمة [٢]

١٧٥ والثابت من التاريخ والقرآن والحديث ، أن النبي ﷺ ما كان يعرف القراءة والكتابة ، بالرغم من أن بعض المستشرقين يحاولون

---

(١) قد سبق النقل من تفسير الرازي لهذه الآية . فقرة رقم ١٠٦ .

(٢) جاء في السؤال الذي أرسله السائل ، وكتبنا هذا الكتاب جواباً له . أن الأستاذ الهندي فسّر قوله تعالى : « وما كنت تتلوا من قبله كتاب » : الكتب السماوية . وهي التي عبر الألماني عنها بالأسفار القديمة . يعني التوراة والزبور والإنجيل . فانظر مدى تأثره بالمستشرقين ، وتفاسيرهم المعوجة المنحرفة . لما يريدونه من غرض غير شريف ، وكيد مكشوف .

أن يثبتوا عكس ذلك . من غير برهان. وإنما هم يستنتجون بعقولهم. ليتعجبوا ما شاءوا من أميته ﷺ . ولكن يجب عليهم أن يعترفوا بأنه ما كان يعلم القراءة والكتابة .

وجاء في قاموس الإسلام : ومع ذلك فمن المحقق أنه ﷺ كان يتظاهر بأنه يجهل القراءة والكتابة كي يجعل إنشاء القرآن معجزاً !!

فهل بعد ذلك تعسف ؟؟

١٧٦ لو كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب ، لتحدث بذلك أصحابه أو أعداؤه . ولما أمكن أن يكون سراً مكتوماً طول حياته . خصوصاً وأن جميع صفات النبي ﷺ وأعماله قد روته الصحابة بالتفصيل . حتى خصوصياته في منزله مع نسائه .

على أن المنصفين من مؤلفي الأفرنج وفلاسفتهم قد اعترفوا بأميته [١] .

١٧٧ ولما كان رسول الله ﷺ أمياً ، احتاج إلى كتّاب يكتبون له . وقد ذكرهم الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، في « تاريخ دمشق » . وروى ذلك كله بأسانيده وهم :

١ ـ أبو بكر الصديق . ٢ ـ عمر بن الخطاب . ٣ ـ عثمان بن

---

(١) سنفرد عنواناً خاصاً نذكر فيه اعتراف منصفي الإفرنج بأميته .

عفان . ٤ ـ الزبير بن العوام . ٥ ـ زيـــد بن ثابت . ٦ ـ محمد بن مسلمة . ٧ ـ إبان بن سعيد بن العاص. ٨ ـ ثابت بن قيس. ٩ـ خالد بن الوليد . ١٠ ـ عبد الله بن زيد بن عبد ربه . ١١ ـ المغيرة بن شعبة . ١٢ ـ علي بن أبي طالب . ١٣ ـ أبي بن كعب بن قيس . ١٤ ـ معاوية ابن أبي سفيان . ١٥ ـ الأرقم بن ابي الأرقم. ١٦ ـ خالد بن سعيد بن العاص . ١٧ ـ حنظلة بن الربيع . ١٨ ـ عبـــدالله بن الأرقم . ١٩ ـ العلاء بن عتبة . ٢٠ ـ السجـل . ٢١ ـ شرحبيل بن حسنة . وقالوا : وكان أكثرهم كتابة زيد بن ثابت ، ومعاوية .

١٧٨ وفي غزوة أحد كتب العباس ـ وكان بمكة ـ إلى النبي ﷺ كتاباً يخبره بجمع قريش وخروجهم . فلما جاء كتاب العباس، وكان أرسله مع رجل من بني غفار. فك رسول الله ختمه ، ودفعه لأبي بن كعب، فقرأه عليه. فاستكتم أبياً[1] .

فلو كان النبي يعرف القراءة لما دفع كتاباً يحوي أخباراً سرية إلى أحد لقراءته .

١٧٩ قال زيد بن ثابت (رض) : كنت جار رسول الله فكان إذا نزل عليه الوحي ، بعث إلي فكتبته له .

---

(١) راجع السيرة النبوية للسيد دحلان ج ١ ص ٢٥٨ . ط ب الوهيبية والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٨٩ ط ب مصطفى البابي الحلبي .

١٨٠ وقد زعم بعضهم أن النبي ﷺ كان يتلو الكتب الدينية القديمة، ومنها استقى معلوماته. وهذا الزعم لا أساس له، إذ لم يكن في جزيرة العرب كتب دينية باللغة العربية في ذلك الوقت.

ومن المؤكد أنه ما كان يعرف أي لغة من اللغات الأجنبية.

١٨١ وقد قيل أنه ﷺ اقتبس بعض تعاليم المسيحية أثناء سفره إلى الشام عندما كان يتاجر. وبدهي أن التاجر العربي الذي لا يعرف اللغة الآرية واليونانية، كان يتعذر عليه الحصول على معلومات دينية من مسيحيي الشام.

أما الذين كانوا يتكلمون العربية من هؤلاء المسيحيين، فقد كانوا جهالاً أميين.

١٨٢ وأما ما قيل من أن ورقة بن نوفل ترجم جزءاً من الكتب المسيحية إلى العربية فغير محتمل بالمرة [١].

ومع ذلك يزعم (درمنغام) في كتابه «حياة محمد» أن ورقة ترجم الأناجيل إلى العربية [٢]. وهذا زعم لا أساس له، إنما هو مجرد ظن.

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب (تاريخ القرون الوسطى) لجامعة كمبردج ص ٣٠٥/٣٠٦.

(٢) وأي علم في الأناجيل؟ وماذا فيها من الأحكام المدنية والجنائية، =

١٨٣ فالمستشرقون الذين زعموا أن رسول الله ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة ، غضوا الطرف عن الآيات التي صرحت بأنه كان أمياً . ذلك لأنهم وجدوا أن القرآن معجز ، ويحتوي على قصص الماضين ، وعلى شريعة عظيمة فاقت كل الشرائع . وفيه عظات بالغة ، وحكم وأمثال رائعة .

وأن أبناء هذا العصر مع تقدم العلوم والفنون وانتشار الجامعات لم يستطيعوا أن يضعوا شريعة للناس ، كالشريعة الإسلامية ، ولا آداباً وأخلاقاً ، كالآداب والأخلاق الواردة في القرآن .

فهالهم الأمر وتحيروا . وقالوا في أنفسهم من أين جاء لمحمد ﷺ هذا العلم ، وكيف كان أمياً ؟ .

١٨٤ فإن قيل لهم هذا دليل على نبوته ﷺ ، وأنه كان يوحى إليه ،

=والأحوال الشخصية ، والعقائد النزيهة ؟ وكل ما فيها بعض مواعظ ، وطرف من سيرة المسيح كتبها بعض التلاميذ ، وما في هذا الإنجيل قد ينقض بعضه الإنجيل الثاني ، مما يدل على أنه كتب بعد المسيح بمئات السنين . كما أن فيها الحلول والتثليث والتجسيم ، وركاكة العبارة – كما لا يخفى على كل ذي عقل سليم – ومن يقارن بين القرآن وبين الإنجيل يعلم علماً جازماً أن لا نسبة بينهما أبداً . بل من يقارن بين الإنجيل وبين أحاديث الرسول يرى البون الشاسع الذي نسبته كنسبة الغبراء إلى الخضراء . فكيف يقال مع هذا أن الرسول ﷺ استقى معلوماته من تلك الأناجيل ، أو مما سمعه من الرهبان المسيحيين ، والحال أنه لا أثر في القرآن ولا في كلام الرسول من ذلك .

لم يسلموا . لأنهم لو سلموا بنزول الوحي عليـــه ، لزمهم التصديق برسالته . وتخلصاً من هـذا المأزق ، نفوا عنه الأميـة ، وقالوا أنه كان يقرأ ويكتب ، ويتلو الكتب القديمة .

١٨٥ ولما وجدوا أن التاريخ لا يساعدهم على هذا الزعم، لأن معاصريه أقروا أنه كان أمياً، وأن ذلك يطابق ما جاء في القرآن، قال قائلهم، إنه كان يخفي أمره ، ويكتم عن الناس جميعاً . حتى عن زوجاتـه وأولاده وجميـع أصحابه عِلْمَهُ [١] بالقراءة والكتابة .

وهذا قول مضحك ، لأن الذي يقرأ ويكتب لا بد أن يراه أحد . بل يراه كثير من الناس . فإن هذا أمر لا يمكنه إخفـاؤه ، كالأكل والشرب .

هــذه هي الحقيقة . وهذا ما نعتقد ، وما يجب أن يعتقده كل باحث في السيرة المحمدية والشريعة الإسلامية .

فصل

١٨٦ ومنهم: حسين عبدالله باسلامه. في كتابه: «حياة سيد العرب» ج٣.

.. بعد أن تكلم عن صلح الحديبية ، وإنتهاء الرسول من قضية

(١) منصوب على المفعولية لـ « يكتم » .

الصلح ، ورجوع النبي إلى المدينة ، وبعد أن أوضح ما احتوت عليه الهدنة وبيعة الرضوان . قال : قد أوضحنا كل شيء في محله ، غير مسالة واحدة وهي :

هل كان النبي أمياً ، أم كان يقرأ ويكتب ؟ .

وذلك لما أمر علي بن أبي طالب أن يمحو « محمداً رسول الله » ـ كما طلب سهيل بن عمرو مندوب قريش ـ وأبى عليّ أن يمحوها ، فقال له رسول الله ﷺ أرني مكانها فأراه إياها ـ وذكر ما ذكرناه سابقاً من الرواية التي فيها ـ وكتب محمد بن عبد الله .

ثم قال : وكون النبي كتب بيده محمد بن عبدالله ينافي أميته أوْ لا ينافي .

١٨٧ إن المسالة لا تحتاج إلى كبير عناء . في كونه عرف إسمه ومحاه ، وكتب محمد بن عبد الله ، وذلك أنه يوجد كثير من الأميين العاديين يعرفون أسماءهم في الكتب ، ويستطيعون كتابة أسمائهم وإمضائهم في الرسائل والوثائق. وهم أقل ذكاء وإدراكاً ،وفطنة من رسول الله.

فإذا كان كثير من الأميين في هذا العصر وفي كل عصر يدركون معرفة إسمهم ويستطيعون كتابته . فهل يكون ذلك غريباً لكون النبي عرف اسمه ، وكتب إسمه ؟!! وهو بلا مراء أذكى خلق الله أجمعين . فهـــذا لا ينافي كونه أميّاً ، ولا عبرة بقول من يقول من

الملاحدة أنه ليس بأميّ، وأنه كان يكتب ويقرأ ، ويدرس الكتب . وحجته في ذلك هذه القضية .

فهؤلاء وأمثـــالهم لا عبرة بنظرياتهم الفاسدة ، وإحتجاجاتهم الواهية التي هي أوهى من بيت العنكبوت . والتي لا تنطبق على العقل الصحيح ، والنقل الصريح . فلو كان عندهم مثقال ذرة من عقل أو إدراك ، لما بنوا نظريتهم على معرفة النبي ﷺ كتابـــة إسمه ، إنه يقرأ ويكتب ويدرس الكتب ، وغير ذلك .

وإنما مثلهم كمثل المشركين ، لمّا تلى عليهم رسول الله القرآن ، ولم يجدوا لهم مفراً من الخضوع إليـــه . قالوا : « أساطير الأولين إكتتبها » .

فلو كان كما زعموا من أنه يقرأ ويكتب لما خفي على أحد . وكان دوّنه التاريخ ، ونقلته الأمم بعضها عن بعض ، طبقة عن طبقة .

وأما كون النبي أمياً ، فقـــد أثبته القرآن وتناقلته الأمـــة الإسلامية ، طبقة بعـــد طبقة وجيلاً بعد جيل . وليس على المكابر إلا أن يصك رأسه في أي صخرة شاء . وينفخ في أي بوق شاء . فلا يؤثر على الحقائق مهما بلغ من الوقاحة والترهات شيء . اه .

فصل

١٨٨ ومنهم محمد توفيق صدقي : فإن له كلامــاً نفيساً ، حرّياً أن يكتب بماء التبر . حول :

« أمية الرسول » ﷺ

في رسالته الموسومة « الدين في نظر العقل الصحيح » أحببت أن ألخصه ليقف القارىء على ما أورده من البراهين الساطعــة ، والحجج الدامغة ، على إثبات أمية الرسول، ونفي ما ادعاه الجاهلون والمغرضون . بعد أن ذكر حالة الأمم قبل البعثــة النبوية . في كل بقعة من الأرض ، من المشاغبات في الدين ، وتعدد الآراء ، وعبـادة الأوثان ، وإستبداد الملوك والرؤساء ، وإشتعال نيران الحروب . وفي بلاد العرب أدهى وأمر .

١٨٩ « ظهر في هذا الوسط الجاهل ، والظلام الحالك . الذي يضل فيه كل سالك . محمد النبي العربي الأميّ ﷺ . ونشأ يتيماً فقيراً ، لا أب له يهذبه ويربيه ، ولا معلم يرشده ويهديه .

تصدى المؤلف بعد ذلك للرد على من زعم أنه ﷺ تعلم القراءة والكتابـــة ليدفع ذلك بقوة البراهين التي تقسر الخصم على صدق

رسالته وعمومها . وتفضيله على غيره من سائر الأنبياء والمرسلين .
والى القارىء البيان .

١٩٠ أولاً : إن الجمهور الأعظم من أمته كان أمياً ـ إلا نفراً قليلاً ـ فإذا أضفنا الى ذلك يتمه ، وفقره وأميته ، فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة. اذ أولى له أن يسعى للحصول على معيشته، من أن يصرف وقتـه في الحصول على شيء لا يعرفـه الا القليل ممن جاوره .

ثانياً : تعلم القراءة والكتابـة يحتـاج الى زمن ليس بقصير . خصوصاً في بلاد ليس فيها دور للعلم . فلو سعى في تعلمها لوجـد مشقة عظيمة[1] ، ولما أمكنه إخفاء أمره . اذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة . مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الأشهاد .

ثالثاً : لم يعهد عنه انه كان يماشي احداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته .

رابعاً : لو كان أحد من الناس يعلمه، لقدّمه النبي ﷺ على أصحابه،

---

(١) من حيث عدم وجود مدرسة أو معلم في بلده . ويحتاج من أجل ذلك أن يرحل إلى بلد تتوفر فيها وسائل التعليم ، والحال أنه فقير ويتيم . لا أن الكتابة والقراءة في حد ذاتها فيهما مشقة عليه في تعلمها .

واحترمه احتراماً يبدو منه كونه شيخاً له . ولفاه المعلم بذلك لبعض الناس . ومن المسلم أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً .

خامساً : لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه ـ قبل النبوة أو بعدها ـ كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تاليف شيء ما أو تدوينه .

فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يتعلم . فيبعد جداً أن لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شئونه الخاصة .

سادساً : لو كان ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة لا لقصد دعوى النبوة لأظهر افتخاره بذلك وجاهر به .

ولو كان القصد دعوى النبوة ، فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه ولا يظهر أمرها على مدى الزمان . فكيف يتأتى لواحد مثل محمد ﷺ في أول نشأته أن يدبر هذه الحيلة أو غيرها من الحيل . كما يرميه بها أعداؤه ويكتمها حتى يصير كهلاً ، ولا يفتضح أمره ولو مرة واحدة .!! سبحانك هذا بهتان عظيم .

١٩١ وقول بعض الملحدين : إنه وإن كان أمياً لا بد أن يكون ما أتى به قد تلقاه من بعض الناس بالمشافهة .

فالجواب على ذلك من وجوه :

أولاً : إمّا أن يكون حصل ذلك التلقي قبل النبوة أو بعدها .

فإن كان قبل النبوة فلا يخلو إما أن يكون في بلاده أو في غيرها .

ثانياً : فإن كان في غيرها . فمن المعلوم الثابت أنه لم يسافر إلاّ إلى الشام مرتين .

الأولى : مع عمه أبي طالب. وكان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة قبل أن يبلغ رشده .

والثانية : في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة (ميسرة). وفي كلتيهما لم يكن منفرداً. ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين معه يتلقى العلم من أحد ... ولم يغب عن قومه إلا مدة التجارة [1] . وإلاّ لو غاب عنهم بضع سنين ، قلت ؛ أو بضع شهور لقالوا له . لعلك تعلمت هذا مدة غيابك عنا ، وهم لم يفوهوا بمثل هذا . مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة ، وهي : التعلم من الغير .

وما الذي حمله والحال أنــه لم يوجد من ينبهه ويرشده لفضيلة

---

(١) إن كل ذي لب يعلم أن هذه المدة القصيرة التي استغرقتها رحلته الأولى، أو الثانية . لم تكن تتسع لتلقي العلم . بل ولا القراءة ولا الكتابة . وقد كان في الرحلة الأولى تبعاً لعمه أبي طالب ، ولم يكن مدركاً فائدة العلم والقراءة . وفي الثانية : كان مشغولاً بشئون التجارة ولم يذهب طالباً . وإنما ذهب تاجراً . ولم يعهد أنه رحل غير تينك المرتين إلى غير الشام . ومكة لم تكن بها مدرسة، ولا علماء، ولا كتّاب . – إلا بضعة عشر رجلاً ، تعلموا القراءة والكتابة قبيل بعثته . كما سبق غير مرة – فمن أين جاءته الثقافة التي زعمها الهندي !!؟.

العلم ، أن يترك ما ذهب لأجله ــ وهو التجارة ــ في المرة الثانيــة . وهو في تلك البلاد الأجنبية ، ويجتهد في البحث عن عـالم ليس من أمته . ولم يكن على عقائدهم ويذعن له . حتى يبعث في قلبه كل هذه التعاليم ، ويسلم له فيما خالف معتقد آبائه وأجداده . وإن زعم أن ذلك التلقي والتحصيل كان في بلاده ، فهو غير ممكن لأسباب. ويتضح من الوجه الثاني وما يعطف عليه :

١ ــ انه كان يشاهد تعلمه ولو مرة واحدة ، وحيث لم يحصل بطلت الدعوى .

٢ ــ إن المعلم له إما أنه كان من الوثنيين. وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والإنجيل وغيرهما من عقائد الموحدين .

وإما أنه من اليهود . وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبـــار المسيح وأمه ، والإقرار لهما بالفضل والنزاهة .

وإما أن يكون من النصارى . وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ، ولا الصلب . ولا أن يرمي النصـارى بالتحريف في كتبهم . ولا غير ذلك مما أتى به القرآن مبيناً تحريفهم ، ومنكراً عليهم .

٣ ــ أيّ حامل يحمل هذا المعلم من إجهاد نفسه ، وصرف وقته في تعليم هذا الأميّ .؟

ولَمَ لمْ يدع الناس إلى هذه الأشياء بنفسه أو يختار أحـــداً من اشتهر بشعر أو خطابة أو شيء من العلم ؟.

٤ ـ لِمَ لمْ يسرّ هذا المعلم إلى أي أحد بأنه يعلم محمداً أو يهذبه. وما الذي حمله على إخفاء هذه المسألة وكتمانها، هذا الكتمان المطلق.؟

٥ ـ لِمَ لمْ يشاهد النبي يحترم أحداً قبل نبوّتـه أكثر من غيره، أو يلوذ به ويلازمه. كما هو شأن التلميذ مع معلمه ؟.

٦ ـ لِمَ لمْ يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابـه أوْ يوصي له بالخلافه. ولِمَ بقي معلمه مرؤساً له، ولمْ يكن رئيساً له ؟.

٧ ـ لِمَ لمْ يوجد بين أصحابـه من كان يانف من أن يتلقى العلم عنه، ويخضع لأمره، وينتهي بنهيه. وأين كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه. هذا ولمْ يعرف أحد بينهم ممتازاً بعلم، سوى مـا أخذه ـ بإقرارهم جميعاً ـ عن كتاب الله وحديث رسوله.

٨ ـ فإن كان هذا المعلم موجوداً في عصر النبوة. فلِمَ لمْ يشتهر قبل دعوى محمد، بالعلم والفلسفة .؟

٩ ـ ولِمَ أخفى نفسه؟. ولِمَ لمْ يظهر بـين العرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد ﷺ .؟!

١٠ ـ وأيّ شيء استفاد من كتمان تعليمه لمحمد؟. فيـا لله من التعصب الذي يعمي صاحبه حتى يرى الرشد غيّاً، والغيّ رشداً. اهـ.

١٩٣ فقد تبين لك مما نقلناه أنه لا يشك أحد في أميته إلا جاهل. أو ملحد، أو غبيّ مخدوع بقول بعض المستشرقين، الحـاقدين على الإسلام ونبيه. الذين أخذوا على عاتقهم أن يجلبوا بخيلهم ورجلهم

لمحاربة الإسلام وأن يشككوا المسلمين في عقائدهم ، وفي شريعتهم . تارة بالافتراء الصريح ، وحيناً بنقول أقوال ضعيفة ، أو أحاديث موضوعة. ولكن يابى الله إلا أن يتم نوره ، ويعلي كلمته ولو كره المشركون والكافرون .

١٩٤ ولا باس أن أزيدك إيضاحاً وبياناً لهذا المرام قائلاً :

أن النبي ﷺ الذي كان في صباه شغله رعي الأغنام. ثم التجارة، ثم التعبد والتحنث بمناجاة الله . وقد كلله اليتم وأحاطه الفقر . فمتى تاتّى له أن يتعلم ؟. وكيف تعلم ولم يره أحد . وأين كان هذا المعلم المختفي طول حياته ؟. وكيف كتم الرسول تعلمه ؟. وإن سلمنا أنه كتم ، فكيف كتم المعلم .؟ ولماذا ؟. والتعلم شرف ليس فيه غضاضة حتى يكتمه .

ثانياً : أن الرسول عرف بالصدق والأمانة منذ صغره .ولم يجرب عليه قومه ولا كذبة واحدة طول حياته . وعندما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة .وبالصدفة دخل الرسول، قالوا : هذا الأمين وكلنا نرضاه ، فحكموه بينهم . فحكم وعدل ، وأزال الخلاف وحل الوئام .

فإذا كان مسلّماً بانه معروف بالصدق . وأدعى أنه أميّ ،والحال أنه قارىء ، فلا يكون صادقاً ، وهذا باطل . لأن الناس جميعهم قد أطبقوا على أمانته وصدقه .

وقد قام عند بلوغه الأربعين بدعوة الخلق إلى عبادة رب العالمين، وقرر أن للعالم إلهاً واحداً متصفاً بالصفات السنية . منزهاً عن كل ما لا يليق به ، أمر الناس باستعمال الفكر والعقل ، ونهى عن التقليد ، وحث على النظر في الموجودات ، وأطلق للناس الحرية الصحيحة ، وحرم عليهم الخضوع لغير الله . وأمر بالعدل والمساواة. وأتى بجميع الأخلاق الفاضلة والمعتدلة. والعبادات الصالحة ، والمعاملات الكاملة، والمبادىء السليمة . والسياسة القويمة . وغيرها مما كان السبب في إصلاح أمر الإنسان وتحريره من العبودية .

فنهض بالبشر نهضة سريعة عالية لم يعهد لها مثيل في التاريخ .

١٩٥ فهذه هي آثار ذلك النبي الأميّ الذي اصطفاه الله واجتباه . وهذه هي أعماله الشريفة . فماذا يجيب الضالون المنكرون لنبوته ؟. أو المنكرون لأميته ؟.

ومن المعلوم أن إنكار أميته ذريعة لإنكار نبوته ــ كما هو واضح.



شهادة بعض المسيحيين من الغربيين والشرقيين . للنبي ﷺ بأنه أميّ

١٩٦ قال (بتورث سميث) في كتابه (حياة محمد) ص ٢٤٦ . قال تبياناً لما قام بأفكاره :

« إن محمداً لمؤسس أمة ، ومملكة ، وديانة . وهذا أمر لم يوجد له سبق مثال ، ولن يوجد .

وهو أميّ لا يعرف القراءة والكتابة . وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات ، وأخبار الأمم ، وهو نقيّ العبارة من الألفاظ المستهجنة ، باهر الحكمة والحقائق . وهو أعظم معجزة له . والحق يقال إنه لمعجزة ».

١٩٧ وجاء في كتاب «الإسلام» تاليف الكونت هيري دي كاستري . ترجمة أحمد فتحي زغلول .

« إن محمداً ما كان ليقرأ أو ليكتب . بل كان كما وصف نفسه مراراً ، نبياً أمياً . وهو وصف لم يعارض فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق ، أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس . لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان . على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين » .

• • •

١٩٨ وقال الفيلسوف الإنجليزي . توماس كارليل . في كتاب « الأبطال » بعد كلام سبق .

« ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو أنه ـ أي النبي ـ لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً .

وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب .

ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلم هي عيشة الصحراء وأحوالها » .

• • •

١٩٩ وقال المسيو سيديو في كتابه تاريخ العرب : ج ١

« ولما كان رسول الله ﷺ غير متعلم مثل أبناء وطنه ، كان لا يعرف القراءة » .

• • •

٢٠٠ قال الأستاذ لبيب الرياشي المسيحي في كتابه « نفسية الرسول العربي » ص ٣٤_٣٥ . تحت عنوان « الأميّ الحكيم ، والمشترع ، والقائد » :

« أعرفت إنسيًّا حمل على منكبيه آثام قومه فطهرهم من آثامهم . وحمل في دماغـه _ كما أراده الفيلسوف اليوناني الأكبر سقراط _ وأخذ الكاتب في مدح صاحب الرسالة ، ووصفه بما يستحقه .. إلى أن قال :

أعرفت رجلاً أمياً ، وقاضياً عادلاً . أمياً يجمع علم التكوين البشري ، بعبارة هي كل نشوء الإنسان الكوني وإرتقائـه . أمياً جباراً في تنفيذ إرادة الله ، عفواً وديعاً في مسامحة المسيئين إليه .

أمياً عاملاً عادياً ، كهؤلاء العمال الذين يحملون أثقالاً على ظهورهم .

وفي ذلك الوقت إماماً سيداً ، ينذر عظماء الرجال ، وجبابرة الملوك ، ويُحترم إنذاره .

أمياً وعالماً نفسياً بليغاً .

أمياً وطبيباً .

أمياً وقائداً .

أمياً ومشترعاً ، ومخلصاً .

أمياً وفيلسوفاً .

إذا كنت لم تعرف ذلك ، لأنك لم تدرسه أو لم تفهمه ، أوْ لأنك لم تتجرد من تقاليـــد محيطك وشرائعه . وزاد ماضيك وآلامه . ونسيج انتسابك الطائفي ، أو الإقليمي ، أو الوطني ، أو الجنسي. فادرس وتفهم . تجرد وإن ساعات من جرائم ماضيك .

إن شئت المعرفة ادرس وتفهم ، على شريطة أن تتطهر في بوتقة الإنصاف والعلم .

وإن كانت الحقيقة مطلبك الأسمى ، وأمنيتك القصوى . تجرد وتطهر ، لتقابل السوبرمان[1] الأول العالمي ، وتصافح بيدك النقية يد الرسول الأمين » .

---

(١) السوبرمان : أطلقه عظيم كتاب العالم ، وأعمقهم فكراً (نيتشه) : على أعظم وأسمى إنسيّ ، نعم على أعظم وأسمى إنسيّ يعيش بلحمه ودمه وعصبه كالإنسان ، ويلامس بكمال عقله ودقة فكره جلال الله ، إذا (السوبرمان) بتعريف نيتشه هو : حلقة الوصل بين الرب الرحيم الصبور الحكيم القدير ، والإنسيّ البشير النذير الصبور الحكيم القدير . اهـ .

من كتاب نفسية الرسول العربي .

٢٠١ قال (شيريل) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا وهو : كاثوليكي المذهب ، في كلمة أمام مؤتمر الحقوقيين عام ١٩٢٧ م ما نصه :

« إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها . إذ أنـه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً ، أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ٢٠٠٠ عام » .

. . .

اعتراف كارادفو

٢٠٢ وقد ذكر كارادفو ، المستشرق الفرنسي صاحب كتاب « مفكري الإسلام » في الجزء الثالث من هذا الكتاب . حياة صاحب الرسالة ﷺ ، وتحرّى فيهـــا مزيد التحري ، ودقق أشد التدقيق . وانتهى إلى القول : « بأن محمداً من سن الخامسة والعشرين ، إلى الأربعين كان كثير التفكر ، هادئاً ساكناً . وكان حليماً تقياً حسن الأخلاق . وأنه عندما بلغ الأربعين ، وجهت جميع قواه العقلية إلى جهة التأمل في جوهر الألوهية ، والبحث عن الحقيقة الدينية . ومذ ذلك الوقت أخذ يعتزل الناس ، ويخلو بنفسه في غار بقرب مكة إسمه حراء . وكان محمد أمياً لا يقرأ ، ولا يكتب ، ولم يكن فيلسوفاً . ولكنه لم

يزل يفكر في هذا الأمر إلى أن تكونت في نفسه بطريق الكشف التدريجي المستمر عقيدة كان يراها الكفيلة بالقضاء على الوثنية . اهـ ».

. . .

٢٠٣ وقال عبدالله يوركي حلاق . صاحب ورئيس تحرير مجلة الضاد السورية ، قصيدة شعرية ، عنوانها : إني مسيحي أجلّ محمداً .

قبس من الصحراء شعشع نوره فجلا ظلام الجهل عن دنيانا

ومشى وفي أدرانه عبق الهدى وأريج فضل عطر الأكوانا

بعث الشريعة من عميق ضريحها فرَعى الحقوق وفتح الأذهانا

مرحى لأميّ يعلّم سفره نبغاء يعرب حكمة وبيانا

من ذا يجاذبه الفخار وقد حمى أم اللغات وشرف العربانا

أمحمد والمجد نسج يمينه مجدت في تعليمك الأديانا

ونشرت ذكر الله في أمية وثنية ونفحتها الإيمانا

بعث الجهاد لدن بعثت وجردت أسياف صحبك تقمع الطغيانا

وتساعد الضعفى وتصفع من بغى   صفعات صدق تزهق البهتانا
إني مسيحي أجـــلّ محمداً   وأراه في سفر العـــلا عنوانا
وأطاطىء الرأس الرفيع لذكر من   صــاغ الحديث وعلم القرآنا
إني أباهي بالرسول لأنــــه   صقل النفوس وهذب الوجدانا
صان الفخار البكر ذكر محمد   وهفـا فشنف بإسمه الآذانا!
إنا حلفنا أن نصون إخــاءنا   بسياج عز لـــن يمس هوانا
وغداً تزيل العار عن أوطاننا   لنرى الجنوب محرراً وعمانا



شبهات الهندي والأجوبة عنها

٢٠٤ ها أنا أضع بين يديك شبهاته ودحضها . لتعلم أيها القارىء مبلغ علم هذ الرجل واحتجاجه . وكيف يريد أن يهدم معجزة كبيرة لسيد الأنام . ويخالف جميع أهل الإسلام . وأكثر الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين بمثل[1] هذه الشبهات الواهية ، التي يستحي الإنسان العاقل من النطق بها . فضلاً عن الاحتجاج بها ، والتسلح بها في ميدان أهل العلم والمعرفة . والإدعاء بانه قد بلغ درجة الدكتوراة ، واكتشف من حقيقة هذه المسالة ما خفي على جميع[2] المسلمين . من حين أن ولد الرسول ﷺ حتى يومنا هذا . ثم نتبع تلك الشبهات بالأجوبة الحاسمة التي لا تدع مجالاً للخصم . إلا أن يذعن . إن كان يريد الحق والإنصاف .

---

(١) الجار والمجرور متعلق بـ « يريد » .

(٣) أي : دعواه أن الرسول ﷺ كان متعلماً وكاتباً وقارئاً قبل النبوة .

شبهاته المذكورة في السؤال

٢٠٥ تقوم دعوى الهندي على أن النبي ﷺ كان مثقفاً ولم يكن أمياً ، على ما يأتي :

أولاً : زعمه أن هناك وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ لو نشرت لدلت على صدق قوله ـ أي كونه مثقفاً ـ .

ثانياً : في صلح الحديبية لما لم يوافق سهيل بن عمرو أن يُكتب (محمد رسول الله) . فامر النبي ﷺ عليًّا بحذف هذه الجملة ، وامتنع عليّ . فحذفها النبي ﷺ وكتب بدلاً عنها « محمد بن عبد الله » .

ثالثاً : أمر معاوية أن يكتب شيئاً فكتب . فأخذ الصحيفة من يده وأمعن فيها وقال : لقد كتبت كما قلت لك .

رابعاً : تفسير الأميّ والأميين بانها نسبة إلى أم القرى .

خامساً : تفسير قوله تعالى : « وَمَا كُنْتَ تَتْلوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ » الآية . بأن الغرض منها ، الكتب السماوية فقط . .

سادساً : أنه قد سبقه إلى هذا القول بعض العلماء السالفين ، كابن حجر وغيره . والمعاصرين كالكتاني من أهل مراكش ، وبعض الهنود .

وإليك الجواب :

٢٠٦ أما الشبهة الأولى ، وهي :

أن هناك بعض وثائق تتعلق بسيرة النبي ﷺ ... الخ

فالجواب :

أولاً : أن الرسول ﷺ قد ضبطت سيرته وشمائله وأخلاقه ، وأعماله ، وأقواله ، في سفره وحضره . حتى أن الصحابة رضوان الله عليهم ، اعتنوا بسواكه ونعله . وضبطوا حتى عدد الشعيرات البيضاء في لحيته ، ودوّن ذلك في صحاح الأحاديث وحسنها . وفي كتب السيرة بأسانيد صحيحة وحسنة . مما لم يوجد لغيره من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين .

ولم يذكر أحد من علماء الحديث . وعلماء السير والتواريخ ، أن هناك بعض وثائق ، أو وثيقة تنص أن النبي ﷺ كان مثقفاً . لا قبل النبوة ولا بعدها .

علماً بانه بعد النبوة ، وبعد ما صار له أصحاب يلازمونه ، ويأخذون عنه ما دق وما جلّ . ويشاهدون أفعاله وأعماله . كان في الإمكان أن يذكروا أنه ﷺ كتب ، لو رأوه أو سمعوا ممن رآه .

وحيث لم ينقل أحد أنه كان قارئاً أو كاتباً. فقد بان أن لا مستند لهذا الزعم الذي ينادي على قائله بالجهل أو التجاهل وسوء النية .

٢٠٧ ثانياً : كانت الكتابة نادرة . لاسيا في الحجاز ، وقد سبق أن نقلنا عن المؤرخين ، أن الكتابة دخلت مكة قبل الإسلام بقليل . وتعلمها أفراد قليلون يعدون بالأصابع[١] ولم يكن النبي ﷺ منهم .

ثالثاً : ليت الأستاذ يتفضل ببيان تلك المدرسة التي كان يتعلم فيها أبناء أشراف مكة . ونتحداه أن يذكر ولو مدرسة واحدة ، أو معلماً واحداً كان يعلم الناس أو يعلم أبناء الأشراف بزعمه .

٢٠٨ رابعاً : إن أول ما جاءه ﷺ جبريل الأمين في غار حراء . فقال له اقرأ : قال الرسول ﷺ ما أنا بقارىء .

فلو كان متعلماً قبل النبوة . لما قال لجبريل ما أنا بقارىء . كما في رواية البخاري .

فقد أخبر ﷺ عن نفسه نافياً كونه قارئاً . فلا أدري أيتجرأ فضيلة الأستاذ أن نصدقه ونكذب الرسول . ونكذب الأحاديث الصحيحة ، التي أخرجها أهل الصحاح والسنن . في كيفية إبتداء الوحي ونصدقه ؟ «!» «!».

---

(١) بلغ عددهم سبعة عشر رجلا . وقد ذكرنا في التعليق أسماؤهم رجلا رجلا .

ولا أخاله يقول هذا . لأنه مسلم يأبى عليه إسلامه وإيمانه أن يتفوه بمثل هذا الكلام المخـالف للدين : والمؤدي[1] لتصديق بعض الكفرة من المشركين السالفين ، حيث قالوا كما أخبر الله عنهم: «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ».

وتصديق بعض المستشرقين الذين تحملوا أعباء هـذا الإفتراء العظيم ، ودسوا في كتبهم بقصد التلبيس والتشكيك على المسلمين .

٢٠٩ خامساً : إن كونه أمياً مما لا يتطرق إليه شك ولا ريب . كيف وقد عاش بـين قومه الأميين أربعين سنة في مكة المكرمة ، وليس هناك مدرسة ولا معلم ، ولا أستاذ يتعلم منه .

ثم جاء بهذا القرآن العظيم المنزل عليه من رب العالمين . بواسطة جبريل الأمين .

ذلك الكتاب الذي أعجز فرسان البلاغة والفصاحة والبيان ،

---

(١) ذلك أنه اذا ثبت كونه قارئاً وكاتباً ، قـد يتطرق الشك ، وتتسرب الشبهة بأنه قد قرأ الكتب السماوية السالفة وغيرها ، فأتى بهذا الكتاب بعد أن ألف من هنا ومن هنا . وإن كان القرآن العظيم لا يحوم حوله أي شك وشبهة . لأنه قد أعجز الورى أن يأتوا بمثله أو سورة من مثلـه . ولكن ذوي العقول الضعيفة ، والأفهام الكليلة تنطلي عليهم الشبهات . ولهذا قال الله : « وما كنت تتلوا من قبله .. » .

من العرب الذين اشتهروا بانهم أفصح الأمـم وأبلغهم. وقد خروا لبلاغته ساجدين ، وعجزوا عن معارضته بعد ان تحداهم عدة مرات. كما في الكتاب المبين :

« وإن كنتم في ريب ممـا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ».

وقد جاء في هـذا الكتاب المجيد من أخبار الأنبياء السابقين ، وقصص الغابرين مما لا علم له به ، ولا لهـم. كما قال الله العظيم :

« تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ نوحِيها إِلَيْكَ ، ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ[1] ».

٢١٠ سادساً : شهرة أميته ﷺ وما أتى به من العلوم والأحكام مما يؤيده كل زمان وكل علم يكتشف. لا يرتاب فيه اي إنسان. بـل بلغت شهرة أميته ما بلغ الليل والنهار. وطار صيتها عند المسلمين والكفار ، ولم ينف الأمية عنه إلا ملعون او كفّار.

٢١١ سابعاً : وصفه الله بالأمية في قوله تعالى : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ الأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ..[2] ».

---

(١) سورة هود الآية ٤٩.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ – ١٥٧.

ومن الواضح أن اليهود والنصارى إنما أمروا بمتابعته حينما دعاهم إلى دين الإسلام . وبين لهم كثيراً مما يخفون . وذكر لهم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بوصف الأمية. فلو لم يكن أمياً - بل كان مثقفاً ومتعلماً قبل الرسالة - لكان هذا أبلغ منفر لهم ، إذ يكون كذباً . والنبي ﷺ معصوم من الكذب .

ولو كان قارئاً وكاتباً من قبل النبوة - كما زعم حضرة الأستاذ ، أو الدكتور - لزالت الأمية التي وصف بها في التوراة والإنجيل .

فما أدري كيف يصدر هذا الكلام المناقض للقرآن ، وللتوراة والإنجيل ممن يدعي الإسلام (!!) .

كيف تصدر هذه الدعوى المناقضة لكتب الله المنزلة ، والحال أن أكثر اليهود والنصارى ، الذين كانوا يقابلون دعوته بعدم القبول ، وإظهار الجحد والعناد ، لم يكونوا يعارضونه ولا يكذبونه بكونه أمياً .

فلو لم يكن أمياً وهو يخبرهم أن التوراة والإنجيل يصفانه بالأمية ، لوصفوه بالكذب . وحاشاه من ذلك . ولقالوا : أن التوراة والإنجيل لا يصفانك بالأمية . فكيف تدعي ؟.

وحيث لم يكن شيء من ذلك . بطلت دعوى الهندي من أساسها. واجتثت شجرة شبهته فأصبحت لا قرار لها .

٢١٢ ثامناً: قول الله: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ..» الآية.

أكبر دليل على صدق الرسول، وأن الأمية من معجزاته الخالدة، وأن دعوى الهندي باطلة عاطلة. لا مستند لها من نقل ولا من عقل. بل تخيلات ووساوس من الشيطان. وقد سبق أقوال المفسرين في تفسير الآية مما يغني عن الإعادة[1].

٢١٣ تاسعاً: لو لم يكن أمياً لكان كاذباً عندما يدعو اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبكتابه.

وهل يستطيع كاذب أن يخاطب أهل الكتاب. والتوراة والإنجيل بين أيديهم.؟

يقول القرآن بكل صراحة: «يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ». أي: يجدون وصفه بالأمية. - كما سبق - ثم يوبخهم ويقرعهم بأنهم يجدونه بنعوته الواضحة، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم !!

وليس من المعقول أن يجترىء على ذلك وهو يعلم كذب نفسه. والكاذب ضعيف حتى عند نفسه.

٢١٤ عاشراً: سبق أن ذكرنا نقلاً عن كتاب «محمد رسول الله» ما جاء

---

(١) وسبق التعليق على الاحتجاج بالمفهوم من الآية.

فيه أن العباس بن عبد المطلب ، كتب إلى الرسول في غزوة أحد يخبره بجمع قريش وخروجهم . وفيه : أنه دفع الكتاب لأبيّ بن كعب فقرأه عليه ـ فراجعه .

٢١٥ حادي عشر : ذكر إبن ماكولا : أن تميم بن جراشة وفد على النبي ﷺ . وروي عنه أنه قال : قدمت على النبي ﷺ في وفد ثقيف ، فاسلمنا . وسألناه أن يكتب لنا كتاباً فيه شروط . فقال اكتبوا ما بدا لكم . ثم ائتوني به . فسألناه في كتابنا أن يُحل لنا الربا والزنا . فابى عليّ «رض» أن يكتب لنا . فسألنا خالد بن سعيد بن العاص فقال له عليٌّ (رض) تدري ما تكتب؟ قال : أكتب ما قالوا ورسول الله أولى بامره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال للقارىء اقرأ . فلما انتهى إلى الربا قال ضع يدي عليها . فوضع يده فقال : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربا[1] ». الآية . ثم محاها . وألقيت علينا السكينة فما راجعناه .

فلما بلغ الزنا قال : « وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً[2] » . ثم محاها . وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا . اه (من كتاب محمد رسول الله) .

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

٢١٦ ثاني عشر : لو كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب لتحدث بذلك أصحابه ، أو أعداؤه . ولما أمكن أن يكون سراً مكتوماً طول حياته . علماً بان جميع صفات النبي ﷺ وأعماله قد روته الصحابة بالتفصيل . حتى خصوصياته في منزله مع نسائه ...

على أن المنصفين من مؤرخي الإفرنج وفلاسفتهم قد اعترفوا بأميته ﷺ . وقد سبق النقل عن بعضهم[1] .

٢١٧ ثالث عشر: إن كثيراً من الآيات القرآنية تؤيد أميته . وتعزز مرامنا الذي من أجله كتبنا هذا الكتاب . وذلك لنفيها عنه العلم والمعرفة . كقوله تعالى في سورة هود ـ بعد أن ذكر قصة نوح مع قومه .

« تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ نوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذا فاصْبِرْ . إِنَّ العاقِبَةَ للمُتَّقِينَ[2] ». وقوله : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ[3] ».

---

(١) وسبق نقلنا عن « محمود توفيق صدقي » قد أتى ـ رحمه الله ـ بحجج عقلية ،لا تدع مجالاً لمنكر ، أو مجادل في أميته . ومنها: أنه لو كان كاتباً لشوهد يكتب ولو مرة واحدة . ولشوهد أنه لجأ إلى أحد من الناس يتعلم منه . ولمَ لمْ يسر هذا المعلم لأحد أن يعلم محمداً ... الخ .

(٢) سورة هود الآية ٤٩ .

(٣) سورة يوسف الآية ٣ .

وقوله : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتَابُ وَلَا الإِيمانُ[1] ».

وقوله : « قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ . فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[2] ».

تنبيه :

٢١٨ نفي التلاوة قبل إنزال الكتاب واضح ، وبعد إنزاله المراد منه أنه لا يقرأ كتاباً سماوياً . أو أي كتاب .

وأما تلاوته القرآن بعد أن أقرأه جبريل فليس مما نحن فيه . وليس موضع إختلاف . وإنما القصد أنه إذا رأى كتاباً لا يعرف أن يقرأه . ولا يمكنه أن يكتب .

الشبهة الثانية

٢١٩ زعمه أن النبي ﷺ كتب في صلح الحديبية « محمد رسول الله » إحتجاجاً برواية للبخاري . وهاك عدة أجوبة :

---

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٢) سورة يونس الآية ١٦ .

أولاً : أن البخاري ذكر في كتـــاب الشروط . عن إبن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عـن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم . يصدق كل منهما حديث صاحبه .

... عندما رفض سهيل أن يكتب « محمد رسول الله » قول[1] النبي ﷺ للكاتب « اكتب محمد بن عبد الله » . والكاتب بالاتفاق هو علي بن أبي طالب .

وقد قال إبن كثير في سياق الرد على الباجي من أجـــل تمسكه بالرواية التي فيها « فحذفهـا النبي بيده ، وكتب بدلاً عنها محمد بن عبد الله » . وهذه[2] محمولة على الرواية الأخرى (ثم أمر فكتب) .

فأنت ترى أن الرسول ﷺ يخاطب علياً . اكتب محمد بن عبدالله . وهذه الرواية تفسر لنا الرواية الأخرى التي في سياق « عمرة القضاء » .

قال الحافظ إبن حجر : وقع في رواية للبخاري فقال لعليّ أمح « رسول الله » . والأحاديث يفسر بعضها بعضاً .

٢٢٠ ثانياً : ثبت في صحيح مسلم « أرني مكانها » يخاطب عليّاً . فاراه مكانها . فمحاها وكتب محمد بن عبد الله . فإذا كان حضرة الأستاذ ،

(١) منصوب على المفعولية لقوله : « ذكر في كتاب الشروط » .

(٢) إسم الإشاره وخبره مقول قول إبن كثير .

احتج بما رواه البخاري في (عمرة القضاء). فأخذ رسول الله الكتاب. فكتب ، هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله . فقد فسرت هـذه[1] الرواية ، الرواية الأخرى الـتي في كتاب الشروط . والرواية التي أخرجها الإمام مسلم في صحيحه كما مرّ .

ولا ريب ان فاعل « كتب » هو علي بن ابي طالب . لأن سياق الكلام يبرهن على هذا المرام . ذلك ان الخطابات كلها موجهة إلى علي ابن ابي طالب. إذ لو كان النبي ﷺ قارئاً ، لما قال لعلي « أرني مكانها ».

٢٢١ ثالثاً : في نفس الحديث الذي احتج به الهندي مـا يبين بطلان زعمـه :

حيث جاء فيه « فأخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن يكتب ، فكتب . أي : ليس يعلم . فالنفي لمعرفـة الكتابة ، لا لجودة معرفة الكتابة . كما يسبق إلى الوهم[2] .

---

(١) هذه : إسم الإشارة ، مفعول مقدم للفاعـل المؤخر ، وهو : الرواية الأخرى .

(٢) ولم يقتصر الأستاذ الهندي على معرفته ﷺ بالكتابة . بل قال كان يعرف إجادة الكتابة وحسن تصويرها . متمسكاً بما ذكره عياض .
وقد سبق أن بيّنا أن القاضي عياض نقل هذا الكلام عن (مسند الفردوس) . ومسند الفردوس من الكتب الضعيفة التي لا يحتج بها . واعترف القاضي عياض بعدم ثبوت هذا الأثر وأمثاله . فتنبه .

نبه على ذلك « الشيخ محمود شاكر » في حواشيه على تفسير إبن جرير الطبري تحت قوله : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ».

٢٢٢ رابعاً : يحمل قوله بعد ذلك ، وكتب . على الحذف والتقدير ، فمحاها وأعادها[1] إلى عليّ وكتب . اه .

٢٢٣ خامساً: أطلق كتب . بمعنى : أمر بالكتابة . كقوله كتب الى قيصر ، وكتب الى كسرى ، وكتب الى عظيم القبط . وكما يقال : رجم ما عزاً . وقطع يد السارق ، وجلد شارب الخمر .

ولا ريب أن هذه الأسانيد الى النبي ﷺ بمعنى أمر . لا أنه باشر بيده الشريفة . كما يقال : بنى الأمير المدينة . بطريق المجاز العقلي . فلا يشك عاقل أن الأمير لم يباشر البناء . وإنما أمر .

٢٢٤ سادساً: يحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ ، وهو لا يحسنها . فخرج المكتوب على وفق المراد ، فتكون معجزة أخرى في

---

(١) وحذف الكلام أو الجمل إذا دل على المحذوف من أبلغ الكلام . كما لا يخفى . وفي القرآن كثير من ذلك لقوله تعالى : « وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت » والتقدير : فضرب الحجر فانفجرت . وفي قصة يوسف الصديق عليه السلام : « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبؤكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان» الآية.

ذلك الوقت خاصة . ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً . وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني أحد أئمـــة الأصول من الأشاعرة ، وتبعه إبن الجوزي .

وتعقب ذلك السهيلي، وغيره. بان هذا وإن كان ممكناً ويكون آية أخرى . لكنه يناقض كونه أمياً لا يكتب . وهي الآية التي قامت بها الحجة ، وأفحم الجاحد ، وانحسمت الشبهة . وقد سبق كلام السهيلي بأبسط مما هنا من تفسير القرطبي .

٢٢٥ سابعاً: لو سلمنا تسليماً جدلياً ، وحملنا الحديث على ظاهره . فلا يلزم من كتابة إسمه الشريف في ذلك اليوم - وهو لا يحسن الكتابة - أن يصير عالماً بالكتابة . وخارجاً من حيز الأمية ، لا يقول هذا من يملك ذرة من العقل .

فإن كثيراً من العوام ممن لا يعرف القراءة والكتابة . نشاهدهم يوقعون في الوثائق المطلوبة منهم ، بأسمائهم وأسماء آبائهم .

فهل يقال أنهـم بهذه التوقيعات عرفوا أن يقرؤا كل شيء .؟ ويكتبوا كل ما يريدون ؟!.

لا يقول هذا إلا من كان منسلخاً من عقله متجرداً من فهمه .

٢٢٦ ثامناً: هذا وقد أريناك النقول من السير النبوية في صلــح الحديبية . وتواترت تلك السير أن الكاتب هو : علي بن أبي طالب،

وأن النبي لم يكتب شيئاً . وما ذكره بعضهم بصيغـــة التمريض . وقيل كتب ، فضعفه ظاهر . وقد اغتر برواية للبخاري . وقد بينا بطلان هذا القول المبني على شفا جرف هار . وأن رواية البخاري قد فسرتها الرواية الأخرى - كما بيناه سابقاً - وعليه فقد خرج الأستاذ من ميدان الإحتجاج بهذه الشبهة صفر اليدين، ورجع بخفي حنين.

الشبهة الثالثة

٢٢٧ حديث معاوية الذي تمسك بأذياله الهندي . فاستمع جوابنا :

أولاً : قد سبق النقل عن الحافظ ابن حجر العسقلاني (رح) أنه ضعيف لا يحتج به .

كما أن جميع الآثار الواردة المشعرة بأنه ﷺ يعرف حروف الخط، وحسن تصويرها . لا صحة لها . كما لا أصل لحديث أنه ﷺ لم يمت حتى تعلم الكتـــابة [1] . كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة العنكبوت .

---

(١) قد ذكر بعض المفسرين عندما ذكر خلاف الباجي ومن وافقه . وأن الصحيح لم يكتب . وقيل كتب . ونقلوا عن الشعبي : ما مات حتى كتب . وفيما نقل عن الشعبي نظر .

أولاً : لا دليل على ثبوت هذا الكلام من الشعبي . =

ولا صحة لما ذكر عن أهل البيت ، أن الكلمات كانت تنطق به عندما ينظر إليها .

٢٢٨ ثانياً : نقول للاستاذ لا محيص له مما يلي :

أما أن يكون عارفاً بأن حديث معاوية الذي تمسك به ضعيف ، لا يحتج به . وكذا ما نقله عن عياض . فإن كان عالماً بضعف هذا الحديث ، وذاك الأثر ، فلماذا يحتج به ، وهل لهذا الإحتجاج من مغزى ؟ . بعد علمه بالضعف وعدم الثبوت بالنسبة للآثار . إلا قصد التشكيك ومخالفة المسلمين ، وإدخال الريب في قلوبهم ، من حيث أميته ﷺ الثابتة له ثبوت الراسيات على الغبراء .

وإن لم يكن عارفاً بضعف حديث معاوية ، ووضع تلك الآثار . فلمَ لا يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق . حتى إذا قال قولاً عضده الدليل ، وحالفه الصواب . وأقرب الأمرين الأمر الأول .والله أعلم .

= ثانياً : أنه مخالف للقرآن والسنة كما أوردناه في الأجوبة السالفة ، ويكفيك قول الحافظ ابن كثير (لا أصل له) . فلا تغتر بالنقول والأقاويل ، إذا لم تكن مستندة إلى دليل .

ثالثاً : أن قوله ما مات حتى كتب ، مطلق . يصدق ولو بمرة واحدة . وهذه المرة هي التي زعمها الباجي . وقد عرفت أجوبة العلماء فلا حاجة إلى الإعادة .

الشبهة الرابعة

٢٢٩ تفسير الأمي والأميين بالنسبة إلى أم القرى ، لا أن الأميّ من لا يقرأ ولا يكتب .

والجواب :

أولا : قدمنا فيما مضى معنى الأميّ من قواميس اللغة العربية . ومن تفاسير القرآن الكريم ، وشروح الأحاديث النبوية. وقد اتفقت كلها ، بانه الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب . أو أنه نسب إلى أمة العرب . لأن الغالب عليهم كان كذلك .

٢٣٠ ثانياً : من قال أن الأميّ نسبة إلى أم القري ، فلأن أهلها كانوا كذلك . أي : كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون . فاي حجة للأستاذ . ؟ وأحسب أن أهل اللغة المتخصصين بدراستها ، أعلم من هـذا الزاعم .

والقول أن الأميّ نسبة إلى أم القرى ، نسب إلى الباقر . قال الطبرسي : وهو المروي عن أبي جعفر الباقر . وما كل ما ينسب إلى إمام أو الى فرد يكون صحيحاً . وعلى فرض صحته فقد سبق تعليله

من تفسير الألوسي [1] (رح) فراجعه وانظر التعليق عليه .

وما أدري بأي منطق وحجة يقول هذا الزاعم ، أن الأميّ نسبة إلى أم القرى . ثم يقول : وكذلك كان الأميّ صفة لكل عربي غير الكتابي .

ومن الواضح أن على منطقه ينبغي أن تختص هذه النسبة بأهل مكة ، لا بغيرهم من أهل اليمن ، وأهل نجد .

٢٣١ ولئن أمكن أن يفسر الأميّ بأنه نسبة الى أم القرى فقط . مستنداً الى ذلك القول الضعيف . فما يقول في قوله تعالى : « وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ [2] لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّآ أَمَانِيَّ » .

---

(١) وذكر القرطبي والقاسمي ، وأبو منصور الثعالبي النيسابوري في كتابه « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » . فقد ذكر تفسير الأمي بما ذكرناه غير مرة . ثم قال : وقيل الدال على التمريض والضعف ، أن الأمي نسبة إلى أم القرى ، لأن أهلها كانوا كذلك . اهـ .

وهذا كما ترى . أولاً : أنه ضعيف . وثانياً : تعليل سقيم . ومع ذلك لا ينتج ما يدعيه هذا المخالف . كما هو واضح لكل منصف .

(٢) فإن قيل أنك تدعي أن الأمية خاصة بالعرب ، وتعززه بقوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً .. » والقرآن يثبت الأمية لغير العرب ، كما في هذه الآية التي أوردناها وهي لليهود. فبطل قولك بإختصاص العرب بالأمية. فالجواب :أن الأمية في اللغة مضى تفسيرها أكثر من مرة ،سواء أكان الأمي =

فقد قال أهل التفسير ، ومن اليهود أميّون لا يقرؤون ولا يكتبون.
وقد سبق تفسير هذه الآية [1] عن ابن جرير رحمه الله تعالى .

وقوله تعالى في سورة آل عمران آية ٢٠ : « فَإِنْ حاجُّوكَ فَقُلْ

= من العرب أو من غيرهم . ولكن لما كانت القراءة والكتابة قليلتين في العرب أطلق عليهم لفظ الأميين ، كأنه علم بالغلبة والحكم للأغلبية . وأما اليهود والنصارى ، ونضيف إليهم الفرس والهنود فقد كانت القراءة والكتابة متفشيتين بينهم . وفي أهل الكتابين الأحبار والرهبان والقسيسون . وفي غيرهم علماء وفلاسفة . ولهذا لم يطلق عليهم لفظ الأمية . مع العلم أنه كان فيهم أميون كثيرون . يوضح هذا المعنى : أن الله عندما يخبر عن أمية العرب يأتي بصيغة الجمع [1] كقوله : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين . . » ولا شك أنه كان إذ ذاك مأموراً بأن يقول لليهود والنصارى وللعرب الذين كانوا يخاطبونه ويخاطبهم . وعندما يخبر عن أمية أهل الكتاب يأتي « بمن » الدالة على التبعيض. كقوله : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ » . ومنهم ، أي : من اليهود أميون : عوام . لا يعلمون الكتاب : التوراة . إلا أماني : أي : لكن أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها . وقيل : الأماني : جمع أمنية : هو ما يتمناه الشخص .

(١) انظر التعليق ص ٩١ .

---

(١) فإن قيل أن ذكر الجمع في الآية لا يفيد أمية العرب قاطبة ، لأنه قد يذكر الجمع ويراد البعض كقوله تعالى : (وقالت اليهود عزير إبن الله) . ولم يقل كلهم هذه المقالة ، بل بعضهم . فالجواب : هذا صحيح ، ولكن إنما علمنا أن بعض اليهود قد قال ذلك بمعرفتنا لديانة اليهود واستقراء مقالاتهم . وهنا كذلك قد عرف الناس أحوال العرب وأميتهم . لا سيا أهل الحجاز إلا النزر اليسير مما علمنا أن الآية تريد أمية كل العرب . وأيّد ذلك قوله في أهل الكتاب ، « ومنهم أميون » بصيغة « من » الدالة على التبعيض .

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا . وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

والأميون في الآيتين : جمع أميّ كما لا يخفى ، والسياق في الآية الأولى لليهود . والثانية لأهل الكتاب ، والعرب . لأن الله تعالى يقول : « وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والأُمِّيِّينَ » .

فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى . والأميون هم العرب بإجماع العلماء والمفسرين .

فهل يعقل أن يقال أن الأميين هنا هم أهل مكة فقط . لا جميع العرب ؟؟

لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل .

وقال الله تعالى: « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »[1] .

فقد أخبر الله تعالى عن اليهود ، بأن منهم الخونة يحذر المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

من الإغترار بهم ، فإن منهم من إن تأمنه بقنطار [1] ـ من المال ـ يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ـ بالمطالبة والملازمة .

وحملهم على جحود الحق . والخيانة في الأمانة . «ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل» أي : ليس علينا في ديننا حرج من أكل أموال الأميين ـ وهم العرب ـ فإن الله قد أحلها لنا . فردَّ الله عليهم بقوله : « وَيَقُولُونَ عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » : بأنهم كاذبون .

فهل يقول فضيلة الأستاذ. « إِنَّهُمْ قالوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ » أي : أهل مكة إثم في أكل أموالهم . ولكن علينا الإثم في أموال سائر العرب من غير أهل مكة ؟؟

ولا أخاله يقول . لأنه تكذيب لنص القرآن . والآيات واضحة لا لبس فيها ولا غبار . وانها خبر عن أهل الكتاب في تقولهم ، ومزاعمهم واستحلالهم أكل أموال العرب قاطبة .

---

(١) في مقدار القنطار أقوال . وحاصلها أنه المال الجزيل . كما قال الضحاك وغيره . وقيل ألف دينار ، وقيل اثنا عشر ألفاً ، وقيل : أربعون . وهناك أقوال أخرى ، والصواب القول الأول .

الشبهة الخامسة

٢٣٢ تفسيره لقوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ».
بأن الغرض من الآية : الكتب السماوية فقط .

والجواب :

أولاً : هل أخذ الأستاذ هذا التفسير الجائر من كتاب الله، أو من سنة رسوله ، أو من أصحابه ، أو من التابعين ، أو من المفسرين المحققين ؟؟؟

على أنه لو ذكر مفسر ذلك . فطالب بإقامة الدليل على صحة هذا الزعم[1] .

ولعل شيخه في هذا التفسير بعض المستشرقين «كلنولدكه» الألماني الزاعم في كتابه «تاريخ القرآن» . لفظة «أميّ» المذكورة في القرآن ، لا تدل على أنه يجهل القراءة والكتابة . بل تفيد أنه لا يعرف الأسفار القديمة .

---

(١) وأنـّى له ذلك .
والدعاوى إذا لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وأنت تعلم أن الثابت في القرآن والحديث والتاريخ ، أن النبي ﷺ ما كان يعرف القراءة والكتابة حتى آخر لحظة من حياته ﷺ .

٢٣٣ ثانياً : إن قوله : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ » نكرة في سياق النفي للعموم ، تعم كل كتاب سواءً كان من الله ، أو من البشر .

وقد سبقت الأجوبة الحاسمة عن الشبهة الأولى والثانية . فلا حاجة إلى الإعادة . وفيها ما يرد على تشبثه بهذه الآية الشريفة .

الشبهة السادسة

٢٣٤ إنه مسبوق بهذا القول من العلماء والسالفين كابن حجر - بزعمه - وغيره من المعاصرين بعض الهنود ، والكتاني من أهل مراكش .

فالجواب :

أولاً : أن المعاصرين الذين زعم أنهم قالوا كقوله . فلا نعرف عنهم شيئاً ، ولعلهم تأثروا بقول بعض المستشرقين الذين ديدنهم محاربة الإسلام ونبيه ، والدس في الكتب التي يؤلفونها في علوم الإسلام . ولا عبرة بهم إن قالوا كقول الهندي .

وأما القدماء . فلم يقل أحد منهم كقول الأستاذ الهندي ، لا

الحافظ بن حجر العسقلاني ولا الهيتمي ، ولا غيرهما .

وقد أحطت علماً بما نقلناه لك من المفسرين والمحدثين، واللغويين والمؤرخين . وعرفت أن هذه بدعة إبتدعها الأستاذ المذكور .

٢٣٥ وإذ قد انتهينا من الأجوبة الشافية عن شبهاته التي ذكرها السائل في سؤاله ، وقد وعدنا سالفاً أن نأتي ببعض شبهه السقيمة التي وقفنا عليها في الجريدتين الإيرانيتين اللتين نشرتا كلام الأستاذ الهندي . ولم يذكرها السائل لحقارتها وتفاهتها . فلنأت بالأجوبة عنها وفاء بوعدنا السابق .

وإني وإن واعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

٢٣٦ قال الهندي :

قد وقع من الصدر الاول إلى اليوم أخطاء شنيعة في الشريعة . وأشدها خطأ تصورهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب . ووظيفته التلقي عن جبريـل ، وإبلاغ القوم فقط . وهل الأمية شرط للرسالة ؟. وهل كان موسى أمياً ؟. وهل يختار الله للرسالة من يغيّر في الوحي المنزل إليه إذا كان قارئـاً وكاتبا ؟. فإذا كان الجواب بالسلب في الاسئلة الموجهة ، فلماذا كان

الرسول ﷺ أمياً من بين الأنبياء ؟ وكأنهم لم يفهموا أن للرسول وظيفة غير التلقي والتبليغ . بل كانت له وظيفة أخرى ، وهي تعليم الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم . وبيان الحكمة من الآيات ، وتطهيرهم من الرذائل . كما قال الله تعالى : « لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[1] » .

واستنتج الأستاذ من الآية : بأنه إذا كان وظيفته التعليم والإرشاد ، فلا بد أن يكون متصفاً بصفات غير تلك الأخلاق التي خصه الله بها . قبل أن يكلفه بأعباء الرسالة . حتى يكون قادراً على القيام بالوظيفة التي كلفه الله بها .

ومن المسلم به ، أن الرسول ﷺ قد قام بأعباء الرسالة ، وينبغي أن نرجع إلى المستندات والوثائق التي تساعدنا على إثبات مدعانا ، وهو كونه قارئاً وكاتباً .

وهنا أنحي باللائمة على المؤرخين ، لأنهم – على زعمه – لم يعتنوا الإعتناء المبغيّ من حين ولادته إلى حين بعثته . ا هـ .

٢٣٧ والجواب ومن الله نستمد الصواب :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

أولاً : أن الحكم على الصدر الأول ، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم . ثم سائر القرون جيلاً بعد جيل ، إلى يومنا هذا، بالأخطاء الشنيعة في الشريعة . وأشدها أمية الرسول ﷺ جرأة[1] عظيمة في الدين. وهتك لحرماته ، وحط من كرامة أولئك الأجلاء من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين هم خير القرون . بنص حديث : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . كما هو حط لسائر الأمة من بعد القرون المفضلة إلى يومنا هذا. وإستهانة بقيمهم جميعها، وفضائلهم المنوه بها في القرآن والسنة ، وجرح لعواطف المسلمين ، وخدش لكرامتهم ، واعتزازهم بهم ، وتحد سافر لهم. إذ أن الصحابة (رض) هم نقلة الدين ، ورجاله البررة. وهم الذين كانوا يجالسونه ﷺ ويشاهدون أعماله وسيرته. ويحصونها بكل دقة وأخلاص. ويسمعون أقواله ﷺ . وهم أول من يدخل في هذا الخطاب الإلهي : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ »[2] . الآية .

ولا يخفى أن الله وصف المهاجرين بالصدق في قوله تعالى :

« لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) خبر أن في قولنا « ان الحكم على الصدر الأول . . . » الخ .

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠) . وتتمتها « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم. منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » .

أُولَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ [1] » .

كما وصف الأنصار بالفلاح في الآية التالية في قوله : « وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ [2] ».

فإذا وقع كل هؤلاء في الخطأ ، فمن الذي أصاب ؟.

٢٣٨ ثانياً : إذا وقعت الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون، وغلطوا. ولم يتنبه أحد منهم ، لا سيا في مثل هـــذه القضية الظاهرة ، وهي كونه كاتباً وقارئاً ، وقالوا : كان لا يقرأ ولا يكتب .

فلأن يخطئوا في أصول الدين وفي فروعه من باب أولى .

وإذا جاز هذا الزعم بطلت الثقـة بهم . لأنه ما من مسألة من مسائل أصول الدين وفروعه ، تستند الى الرسول ، ولو بالإسنـاد الصحيـح ، وبتصحيح نقاد الحديث . إلاّ كان مجـال للملحدين والزنادقة ، والكافرين ، والمستشرقين وتلاميذهم المارقين أن يقولوا

---

(١) سورة الحشر الآية (٨) .

(٢) سورة الحشر الآية (٩) .

هذا خطأ . لأنه قد عهد منهم الخطأ في مسائل عديدة . بل في مسالة أوضح من رابعة النهار . وهي أن الرسول ﷺ كان مثقفاً، فزعموا أنه أميّ . إما جهلاً ، وإما خطأ ، وإما كتماناً . وكل واحد من هذه الأمور الثلاثة تنقيص للصحابة. ونسبة الخيانة إليهم فيما إذا كانوا قد كتموا . ونسبة الجهل والبلادة إذا كان قارئاً وكاتباً ، ولم يعلموا طيلة حياتهم مع حياته .

وهل هذا إلا هدم للدين من أساسه وتقويض لدعائمه وأركانه .

لأننا إذا خسرنا الصحابة والتابعين، وعهدنا منهم الخطأ المبين . فقد بطلت منهم الثقة ، وتزعزع اليقين . فمن أين نأخذ الدين .؟؟

أمن حضرة الأستاذ ، أم من أشياخه المستشرقين ؟!

٢٣٩ إن الإنسان العاقل المؤمن ليحار ، وتنهار أعصابه ، ويفقد لبه أمام هذا الكلام الجافي . المملوء بأخطاء عظيمة ، وزلات فاحشة ، وتحقير للصدر الأول ، وإستنتاجات يؤيد بها مزاعمه ، وهي لا تنتج ما زعمه ورامه .

كيف يتصور مسلم أن الصحابة بأجمعهم . والتابعين وتابعيهم بأكملهم . والأئمة المهتدين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، ووكيع بن الجراح ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة والليث ابن سعد، وعبدالله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن المديني،

ويحيى بن معين ، والبخاري ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدار قطني ونظرائهم ، وأمثالهم من الفقهاء، والمحدثين ، والمفسرين والمؤرخين ، واللغويين ، والأصوليين . قد أجمعوا[1] وأطبقوا على كونه أمياً . ولم يكن الأمر كذلك . !!

لا يستسيغ هذا إلاّ من كان أضل من حمار أهله ، وأبلد من باقل.

وهذه مسالة من الوضوح بمكان ، وتدرك بمشاهدة الرسول ، لا تحتاج إلى عناء ولا نصب .

٢٤٠ ثالثاً : فكونه كاتباً أو غير كاتب ، من الأمور التي ما كانت لتخفى على أحد . فلو كان كاتباً لشوهد عنده قلم وقرطاس وحبر . ولشوهد أنه قد كتب .

ولو كانت مسالة أصولية ، أو فقهيـة ، أو لغوية ، وأطبقوا عليها . لما قُبل من يخالف في ذلك . لأن الإجماع حجة[2] .

مع العلم أن مسائل الفقه قد تتعاوض فيها الأدلة . وقد تستند إلى اللغة،ويعتورها الاشتراك اللفظي أو المعنوي . الأمر الذي يمكن أن يدور حوله نقاش واختلاف .

---

(١) خبر إنّ . في قولنا (إن الصحابة ...) الخ .

(٢) وخلاف الباجي لا يعتدّ به . لأنه حادث بعد قرون عديدة مع أنه في واد غير واد الأستاذ .

أما هذه القضية التي هي أوضح الواضحات وأجلى من النيرات. والتي يجدر بنا أن ننشد قول من قال:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

فلا يمكن أن يدور حولها نقاش أو جدل وخلاف.

وتعبيره بأنه قد وقع من الصدر الأول إلى اليوم أخطاء شنيعة في الشريعة ... الخ.

تعبير ينم عن سوء قصد، وخبث طوية. ولا سيما في هذه القضية الجلية. ولو نسب الخطأ إلى البعض لهان الخطب. ولكن إسناد الخطأ إلى الأمة بأجمعها من الصدر الأول الى اليوم - بما فيهم الصحابة الأبرار، كأبي بكر وعمر وعثمان والحيدر الكرار، وأذكياء التابعين وفضلائهم. والأئمة المقتدى بهم. هو الذي يأباه كل مسلم يحترم نبيه ودينه ورجالاته.

٢٤١ فيا حضرة الأستاذ. إذا أمكنك أن تتلاعب بالآيات الناصة على أميته بتفسيرك الإستشراقي فما جوابك عن قوله ﷺ «إنا أمة أمية[1]».؟ ثم أكد بقوله: «لا نكتب ولا نحسب». وما موقفك مع ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن الذي يقول: «كان نبيكم أمياً لا يقرأ ولا يكتب»؟

(١) قد سبق شرح الحديث وإيراد شبهته وجوابها.

وبماذا تعتذر عن حكمك الجائر بتخطئة المسلمين كلهم ؟؟.

وبالله عليك هل هذه القضية من مجالات الخلاف ؟؟. ومن ميادين النزاع والنقاش . حتى تاتي في الميدان، وتحارب أهل السنة والقرآن، بما تسلحت به من سلاح أهل الكفر والطغيان .

قوم يختارهم الله لصحبة نبيه . ولنقل دينه إلى من بعدهم ، ويزكيهم الله في كتابه في عدة آيات ، ولا أظنها تخفى عليك. وتأتي بعد أربعة عشر قرناً ، وتحكم بخطئهم وعدم إنتباههم . هؤلاء القوم الصادقون والمفلحون ، والبررة المتقون . يشاهدون الرسول في جميع أوقاته في الحضر ، وفي السفر ، وفي غزواته . اذا استثنينا وقت خلوه مع زوجاته ، مع أن زوجاته يشاهدنه وقد نقلن لنا كثيراً من شرائع الدين . هؤلاء الأقوام الفضلاء لم ينقلوا إلى من بعدهم أنه ﷺ كان قارئاً وكاتباً ، ولا الأجيال التي أتت من بعدهم ، ويأتي حضرة الأستاذ من بعد أربعة عشر قرناً ، ويزعم أنهم أخطأوا !!. وأن في الشريعة أخطاء شنيعة !!.

٢٤٢ رابعاً : لايخلو الأمر ، إما ان يكونوا عالمين بانه كان مثقفاً - كما زعمت - وكتموا . وهذه خيانة ظاهرة . ومثل هؤلاء الخائنين لا يقبل كلامهم في المسائل العادية ، فضلاً عن مسائل الدين .

وإما أن يكونوا غير عالمين ، فحينئذ يقال : كيف خفي تعلمه

على اولئك الصحابـــة الأبطال؟ ، الذين كانوا به محدقين ، ولأعماله مشاهدين ، وعرف حضرة الأستاذ الكريم !!.

ولا شك ان هذا طعن في الصحابة الكرام وجرح لهم . فإذا أمكن أن يجرح الصحابة فقـد ضرب الدين بضربته القاضية . وإذا جاز ان يثبت للملإ انه كان مثقفاً ، فقد حصل التشكيك في نبوته . ـ كما قلنا غير مرة ـ وهذا هو الهدف الحقيقي .

ولا ينفعه قوله : « أن الأمية ليست شرطاً للرسالة ، وأن القراءة والكتابة لا تنافيان النبوة ». لأننا نقول : ـ كما قلنا اكثر من مرة ـ بان الله وصفه بالأمية في التوراة والإنجيل. كنعت خاص له، ومعجزة كبيرة . فلو لم يكن أمياً ـ كما زعم الأستاذ ـ لقالت اليهود والنصارى إنك كذاب في دعوى الأميـــة . لأن التوراة والإنجيل يصفان النبي الآتي بالأمية ، وأنت غير أميّ .

وإذا جاز أن تقع أخطاء شنيعة في الشريعة من الصدر الأول إلى اليوم ، ولم يعرفه أحد حتى جاء هذا الأستاذ ، فمنّ الله عليه بمعرفة تلك الأخطاء . وفاق الأولين والآخرين بعلمـــه الواسع ونبوغه العجيب .

فقد فتح لنفسه ولمن بعده، أن يطعن في أي مسالة شاء من مسائل الدين ولو كانت من أركان الإسلام ، أو أركان الإيمان . كأن يقول : ليست الصلاة ما عرفهـا المسلمون وصلوها ويصلونها . وليس الصوم

هو صوم شهر رمضان . بل الصلاة في اللغة الدعاء . ويكفي العبد ان يتضرع الى الله ، ويدعوه فيما يريده . ولا حاجة الى هذه الكيفية المشتملة على القراءة والركوع والسجود. واللغة تساعده على هذا الزعم.

والباطنيون باجمعهم من ورائه، على تحريف الصلاة عن موضوعها الشرعي ، وليس في القرآن بيان كيفيتها ، وإجماع المسلمين ونقلهم لكيفيتها لا يعبأ به ، لأنه قد عهدت اخطاؤهم الشنيعة . وكذلك الصوم : يمكن أن يقول ملحد ، يكفي الإنسان أن يمسك عن الكلام، أو كلام الزور، أو عن الأعمال المحرمة، أو عن نوع من الأكل والشرب. ويسمى صائماً . لأن الصوم في اللغة : هو الإمساك فقط . فإذا أهلّ شهر رمضان فيكفي أن يمسك عن اللغو والرفث . أو عن إيذاء الناس ، أو عن كلام الزور . ويسمى صائماً . ولا عبرة بإجماع المسلمين في صيام رمضان على ما عليه الناس . لأنه قد عهدت منهم أخطاء شنيعة . وهذا الصوم من جملة الأخطاء . فالهدف من هذا الكلام ، أمران :

٢٤٣ الأول: إثبات الخطأ لجميع الأمة من القرن الأول الى يومنا هذا . وعليه فلا عبرة بإطباقهم وإجماعهم . والإجماع كما تعلم هو الركن الذي يعتمد عليه بعد الكتاب والسنة . وهذا الإجماع الذي له هذه المكانة السامية ، قد صوب له خنجره المسمومة ، وفتك به لينهدّ به ركن ركين من أركان الشريعة والدين . وكانه لم يسمع قول الله :

﴿ وَمَنْ يُشاقِقِ ٱلرَّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى ، وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيراً[1] ﴾ .

ولا ريب أن الاستاذ قد سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، زاعماً بانهم أخطاوا النهج المبين . ولذا لم يسلك سبيلهم ، واستبدل عن سبيلهم سبيل المستشرقين ، وخالف الله ورسوله الأمين .

٢٤٤ الثاني : الطعن والقدح في جميع الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين .

ومن المعلوم أن الطعن بهم ، والحكم عليهم بالخطأ ، يذهبان الثقة بهم ، وبنقلهم ورواياتهم عن الرسول ﷺ . وبالتالي فلا عبرة بالشريعة المنقولة التي اتصلت لنا من طريقهم . كما لا عبرة بتفسير القرآن ، ذلك التفسير الذي نقل أكثره الصحابة والتابعون . لأن أخطاءهم عظيمة ، وزلاتهم عديدة . وعليه فقد بان أن الهدف هو : نقض الشريعة من أصلها .

وأضف الى ذلك إنكاره لأمية الرسول ﷺ ليتمكن الملحدون من التشكيك في نبوته .

---

(١) سورة النساء الآية ١١٥ .

كما قـال المستشرقون أنـــه - ﷺ - أخذ من بعض أهل الكتاب[1] في رحلاته التجارية الى الشام ، ومن الذين كانوا بمكة من اليهود والنصارى . وكل ذلك كذب وافتراء . وزور وهراء .

على أن « درمنغام » كان أحذق وأنصف من حضرة الأستاذ. حيث اعترف أن النبي - عليه الصلاة والسلام - بقي أمياً طول حياتـه . وإن كان قد زعم ان هناك مدارس تعلم فيها النشء بالأجور . كمدارس بلاد الحضارة . فأخذ الأستاذ من كلام درمنغام وغيره « أن مكة والطائف كان بهما مدارس للبنات والبنين ».

وقلد غير درمنغام أنه - عليه الصلاة والسلام - تعلم من تلك المدارس قبل نبوته . بل في صباه .

فسنده يتصل بالمستشرقين . وهم عن إبليس اللعين. وكفى بذلك قبحاً وضلالاً .

٢٤٥ فإن قيل : ما الذي يحملك على هـذا النقاش الحاد ، وإلزامات الأستاذ بنتائج قد لا يقولها . ويابى أن تسند إليه . وكل ما في الأمر أنه حكم بالأخطاء على الصدر الأول الى اليوم ، والخطـأ لا يسلم منه بشر ، والأمر الثاني : قال أن الرسول ﷺ كان متعلماً وليس هـذا كفراً . لانه قد أداه إجتهاده الى ذلك بما قامت لديه من أدلة ذكرها

---

(١) سبق في كلام محمد توفيق صدقي ، ما يدفع هذا الباطل ويزهقه .

في مقاله . وقد يكون قصده حسناً . فالجواب :

أولاً : أن ليس كل مجتهد مصيباً .

ثانياً : وما كل قائل يكون قصده حسناً . ونعرف الحسن والقبح من نفس الكلام ، أو من القرائن الحافة به .

وقد عرفنا من القرائن الحافة ، والشبه التي أقامها على تعلم الرسول ﷺ وتقليده للمستشرقين ، أن إجتهاده خطأ .

وأما قصده: فالظاهر أنه ليس بحسن. والباطن موكول الى الله .

وأما كون البشر لا يسلم من الخطأ ، فمسلّم في الافراد . وأما إجتماع الأمة الإسلامية وإطباقها على أمر . فلا يمكن أن يكون على خطإ .

بل الإجماع على أمر ، هو أكبر دليل على حرمته ، أو إباحته أو وجوبه .

٢٤٦ والذي حملني على النقاش الحاد ، هو سلبه صفة الأمية ، التي هي من أعلام نبوته ﷺ عنه .

والقرآن يصرح بثبوتها ، ويخبر أن اليهود والنصارى يجدون هذه الصفة في كتبهم.

ولنا أن نقيم الحجة عليهم في صحة نبوته ﷺ ، وصدق رسالته، بادلة عقلية وسمعية . ومنها تلك الصفة التي نعتته كتبهم بها . فإذا زالت هذه الصفة - على زعم الأستاذ - فقد تطرق الخلل على الكتاب العزيز المخبر عن ذلك النعت السامي ، ولا يمكننا أن نقيم لهم الحجة ، لأننا وإن كانت لدينا حجج أخرى، فسيقول قائلهم : إن صفة الأمية لم تكن موجودة فيه حتى تقوم علينا الحجة .

والأمر الثاني: حكمه الجائر على الأمة الإسلامية بالأخطاء الشنيعة، من غير أن يستثني أحداً من الصحابة ، أو من التابعين أو من غيرهم. إلى يومنا هذا .

فإذا لم يكن هذا قدح وطعن، وإزدراء وتنقيص بأولئك الأجلاء الأبرار الذين نقلوا إلينا الشريعة الغراء . فليس بعد ذلك طعن وتنقيص ، وإزدراء واستهزاء .

وإذا لم يكن هذا الحكم القاسي الظالم،فتح باب للزنادقة والملحدين، لأن يدخلوا الى حوزة الدين ، ويرموه بسهامهم المسمومة . ويحيكوا حوله الشبهات الداحضة. ويدخلوا فيه التأويلات الجائرة. متسلحين بعدم الوثوق بنقلة الشريعة . لأنهم قد عهد منهم الأخطاء الشنيعة . فليس هناك فتح باب بعد هذا . فقد هدم حضرة الأستاذ سور الإسلام . وجرّأ الكفرة والطغام على الإقتحام عليه ، والطعن على نبيه ورجالات دينه . وتغرير الناشئة الجديدة ، والعوام السذج،بان

ما يقال لكم عن دينكم ، وعن شريعة نبيكم ، أكثره خطأ قبيح. ونقلته بين كاذب أو مغفل ، أو غير محيط بأحوال الرسول ، أو بسنته ، أو غير متضلع من الشريعة الغراء . بدليل أن نبيكم كان متعلماً قد تعلم من مدارس منظمة ، وكان يكتب ويقرأ . وهناك وثائق كتبها . فلم يذكر ذلك الصحابة ولا من بعدهم .

وقد يقال كان نبيكم عالماً قبل أن يوحى إليه ـ بزعمه ـ فلفق هذا الدين من عقله الجبار ، وحكمته السديدة ، وذكائه الخارق . ومما أخذه من اليهود والنصارى . حينما رأى قومه في ضلال . فأتاهم بهذا الدين ، وأخفى أميته عليهم . ان كانت الصحابة لم يعلموا ليتمكن من إدخال تعاليمه في قلوبهم .

وأما كونه لا يرضى بهذه النتائج . فسواء علينا أرضي أم أبى .

وأما أن كلامه ليس كفراً . فقد يكون ، ولكن يؤول الى الكفر ـ كما سبق توضيحه .

٢٤٧ وقوله : وهل الأميه شرط للرسالة ؟. فالجواب :

ومن قال أنها شرط للرسالة ؟ حتى يورد هذا السؤال . ونحن نعارضه بقولنا :

وهل من شرط الرسالة أن يكون مثقفاً ؟. ما أبرد هذا السؤال

وما أسمجه .

إن هذا السؤال لا يساوي مداده . ومن أنكر أن للرسول وظيفة التبليغ ، وإرشاد الناس وتعليمهم . حتى يتهم المفسرين والمسلمين أجمعين ، بأنهم لم يعرفوا وظيفة للرسول ﷺ غير التلقي والتبليغ؟.

وهل تبليغ الناس ما أنزله الله عليه ، وشرحه لهم بقوله وبفعله، إلا تعليم وإرشاد ؟!. وأما استدلاله بالآية التي في سورة آل عمران : « لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [1] ».

بأن له وظيفة غير التبليغ . وهو التعليم والإرشاد والبيان .

فالجواب :

ومن خالف في هذا حتى يحتج عليه بالآية ؟ ويظهر أن الاستاذ لا يفهم معنى التبليغ . فإذا قال الله : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » وشرح لهم الرسول ﷺ الصلاة وأوقاتها . وصلى لهم إماماً . وقال : « صلوا كما رأيتموني أصلي ». فقد بلغ عن الله فرضية الصلاة. وأرشدهم الى فعلها وكيفيتها فإرشاده الى فعلها وكيفيتها ، وبيان شروطها . مثل قوله : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ».

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

ومثل وضوئه أمامهم مبيناً كيفية الوضوء . هو التعليم .

وإذا بين لهم أنصبة الزكاة في الأموال التي تجب فيها الزكاة. فهل هذا إلا بيان وتعليم؟.

وإذا حجّ وقال: خذوا عني مناسككم. فهل هذا إلا بيان وتعليم؟.

ولكن هل التعليم لا يمكن إلا بواسطة الكتابة ؟.

أو نقول : لا يمكن إلا من كاتب وقارىء ؟.

هذا هو الذي يخالف الاستاذ جميع الناس ، ويخالفونه كلهم . لأن الاستاذ يقول: لا يمكن إلا من كاتب وقارىء. والناس كلهم يقولون: بطلان هذا معلوم بالبداهة .

فكم رأينا من يعلم الناس القرآن ، وبعض الأحاديث ، أو بعض القصائد . وهو لا يقرأ كتاباً . ولا يخط رسالة .

فإذا أمكن للأستاذ أن ينكر السموات والنيرات ، ويكون سوفسطائياً ينكر الحقائق الثابتة . فإذاً يمكنه أن ينكر هذه القضية الواضحة .

٢٤٨ خامساً: ونقول ثانياً : إذا كان ﷺ مأموراً بالتبليغ والبيان ، وإرشاد الأقوام ، فهل هذا ينافي أميته ؟ .

إن القرآن الذي قد بلغه للناس : قد أقرأه جبريل عليه السلام - وعلمه . كما قال تعالى : « سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنْسى[1] ». وفي آية أخرى : « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ[2] ».

فإذا حفظه من جبريل ، علم الناس ما حفظه وقرأه عليهم . فحفظوه من لسانه . وهو هو لم يتزحزح من أميته قيد شعرة .

ولم يقل أحد من المسلمين أنه ﷺ لم يقرأ على الناس ما أنزل عليه ولم يعلمهم . حتى تقوم للاستاذ حجة . وإنما قالوا : لا يقرأ ولا يكتب من كتاب فقط .

فإذا عرفت هذا . تعرف أن إستدلاله واستنتاجه على معرفة الرسول بالقراءة والكتابة من الآية السالفة . ومن قوله تعالى: « يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً[3] ». إستنتاج باطل وخاطىء . ليس عليه شبهة صواب . ولا مسحة حق . وإنما هي تخيلات وأوهام . وظنون أشبه باضغاث الأحلام .

٢٤٩ وأما إنحاؤه باللائمة على المؤرخين بأنهم لم يعتنوا بالرسول من حين ولادته إلى حين البعثة . فلم يكتبوا عنه إلا قليلاً .

---

(١) سورة الأعلى الآية : ٦ .

(٢) سورة القيامة الآية : ١٨ .

(٣) سورة البينة أولها : « رسول من الله » الآية : ٢ .

فالجواب :

أولاً : سبق أن نقلنا عن اللغويين والمؤرخين والمحدثين والمفسرين. أن الكتابة كانت عزيزة في العرب : ولا سيما في الحجاز .

ثانياً : من كان يعلم أن محمداً سيصير نبياً ورسولاً ، حتى يكتب عنه ـ على فرض وجود كتاب ومؤرخين .

وإذا كان الرسول ﷺ عندما جاءه جبريل وقال له اقرأ . وأجابه ما أنا بقارىء ، ولم يعلم أنه نبىء بهذه الآية . حتى أخبره ورقة بن نوفل . فكيف بسائر الناس ؟!.

٢٥٠ ثالثاً : ليتفضل الأستاذ ويذكر لنا من كان من المؤرخين بمكة المكرمة أو بالطائف . أو بالمدينة . حتى يتسنى له نقدهم وتوبيخهم وإمطارهم باللوم والتعنيف ...

ورغم ذلك كله . فقد كتب العلماء عنه الامور المهمة ، من حين ولادته الى حين بعثته ، وأما من حين البعثة الى حين الوفاة ، فلم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها .

٢٥١ رابعاً : أن الاستاذ قد اعترف أنهم بعد الرسالة قد اعتنوا به غاية الاعتناء . ودونوا سيرته بكل دقة .

فليتفضل وليتكرم ليذكر من ذكر من العلماء على اختلاف

أنواعهم ، أنه كان يقرأ ويكتب . لينبذ عن ظهره أعباء البحث عما قبل الرساله . لأنه قد يكون غامضاً ـ على زعمه ـ ولكن ليذكر من بعثته الى وفاته ما يؤيد زعمه . إن كان صادقاً فيما يقول . وإلا فليسمع قول الشاعر :

دع العيس وحاديها   واعط القوس باريها

٢٥٢ خامساً: مما هو جدير بالذكر وتنبيه للأستاذ والقارىء . هو أن الصحابة رضوان الله عليهم قد افرغوا وسعهم في الإعتناء به، وبذلوا كل جهدهم في الحفاوة به . وجعلوه ﷺ موضع اهتمامهم ورعايتهم . وكذلك التابعون فيما نقلته الصحابة لهم عنه وتابعوهم .

حتى أن بعـــض شعيرات لحيته حفظت ، وشيء من لباسه . واحتفظ على ذلك الخلفاء ، ثم الملوك الآتون من بعدهم . ووضعوه في خزائنهم . فلو كان لرسول الله ﷺ كتاب كتبه بيده الشريفة ، أو وثيقة حررها لكان حفظ ذلـك الكتاب أو الوثيقة . وصيانته أهم شيء لدى الخلفاء والملوك المسلمين . وما ذكر أحد من العلماء ولا من المؤرخين أن هناك كتاباً أو وثيقة كتبها الرسول بيده ، محفوظة في خزانة من خزائن الملوك .

وما أدري كيف يقبل حضرة الأستاذ . ويريـد أن يتنازل له المسلمون ، ويحظى قوله لديهم بالقبول . بعد أن قـال الرسول ﷺ

« ما أنا بقارىء » . وبعد ما وصفه الله بالأمية . وكانت من علامة نبوته لدى أهل الكتاب . وبعد ما أجمع عليها السلف والخلف .

والله لو جاء بوثيقة قديمة. وكان موقعاً عليها بتوقيعات من بعض الصحابة. أو من بعض العلماء أنها قد كتبها الرسول ، لما قوبل بالقبول بعد ما أريناك من أقوال العلماء الفحول .

٢٥٣ سادساً: إن من أمعن النظر في كلام هذا الرجل وجده بكل جلاء ، لا يستند في رأيه هذا إلا على ظنون وإستنتاجات لم يحالفها التوفيق ، ولا الصواب . بل خيم عليها الباطل وأصبحت كالسراب. لا يجد لها مستند إلا من كلام بعض من شذ ممن نهل من مناهل الثقافة الغربية وتاثر بعلومهم ، وأعجب بمعارفهم وتقدماتهم . وظن أنهم حائزون قصب السبق والعلم ، والفضيلة في كل شيء . وأنهم أعلم من علماء المسلمين . أو من أكثرهم ، بدينهم وحتى بنبيهم .

ومن شبهاته العليلة

٢٥٤ قوله : إنه ﷺ كان يتجر لخديجة بتجارة عظيمة . وخديجة كانت من النساء العاقلات العارفات . فكيف يمكن أن تولي مالها من ليس يقرأ ويكتب .؟

والجواب :

قف أيها القارىء هنا ، وتأمل هذا الكلام ، واستنتاجه من هذه المقدمات . أن النبي ﷺ كان قارئاً وكاتباً .

أما يشاهـــد الناس ـ والأستاذ فرد منهم ـ ألوفاً من البشر يتجرون بأموال عظيمة قد تبلغ الملايين ، وهم مالكوها . مع أنهـم أميون لا يقرؤن ولا يكتبون ؟؟.

ثم في تعبيره أنه كان يتجر لخديجة بالصيغة الدالة على الإستمرار والثبوت . والحـال أنه لم يذهب لتجارة خديجة الى الشام ، إلا مرة واحدة . وعلى الفرض أنه كان يتجر لها في مكة . فهل من شروط التاجر أن يكون قارئاً وكاتباً . ؟

وما أدري هل يتجرأ الاستاذ ويقول : أنه ﷺ كان خريج كلية التجارة بمكة المكرمة ، على حسب زعمه أنه كان بمكة مدارس للبنات والبنين .

وهـل كان يعرف كل شيء من الأمور التجارية . كمسك الدفاتر وما شابه ذلك . فإن قال هذا ـ ولا أظنه يقول ـ فنسأل الله أن يهب له عقلاً . ما هذه الجرأة العظيمة والتلاعب بعقول القراء .

هل التجارة مستلزمة لأن يكون صاحبها قارئاً وكاتباً وحاسباً؟؟ نعم هذه الأشياء من كمال التجارة . أما كونهـا من الضروريات

اللازمة . فلا يقوله من يدري ما يقول .

وهل هذا دليل عقلي ، أو نقلي على مرامه الذي كتبه ونشره .؟؟ ومما لا ريب فيه أن ما مخرق به هنا ، وأتى به كدليل يحتج به على مطلبه ، الذي خطأ جميع المسلمين بزعمه الكاسد ، وفهمه الكليل . ليس من النقل ولا من العقل بشيء . اللهم إلا أن يكابر ويقول : قد دل الاستقراء من أحوال الأمم وعاداتها . أن التجارة مستلزمة لما ذكر ، وأن التاجر لا يمكن أن يتجر إلا أن يكون مثقفاً ومتعلماً ، فنجيبه معارضين له وقائلين : بل قد دل الإستقراء أن التجارة لا تستلزم ما ادعاه هذا المدعي . وحضرته يشاهد كل طلوع شمس وغروبها ألوفاً من البشر يمارسون التجارة ويزاولونها بمختلف أنواعها والحال أنهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون . فويل للذين يكذبون . وعلى الناس يموهون .

٢٥٥ وإلى القارىء شبهة أخرى كالسابقة . قال : « أن مكة المكرمة كانت عاصمة كبيرة ، ومحطة تجارة ولها مكانة في التجارة العالمية . ولها حضارة سامية . وقد كتب بعض المؤرخين عن حضارتها . فكيف يمكن أن يقال أن مثل هذه المدينة أهلها جهال أميون ؟ » .

وقد سبق الجواب ومنه يفهم رد هذه الشبهة .

٢٥٦ وثانياً: نجيبه قائلين : لو فرضنا أنه كان بمكة أناس متعلمون .

وكان عددهم كثيراً ـ نزولاً على رغبة الأستاذ ـ فهل يلزم أن يكون النبي ﷺ قد تعلم ؟. وكم نرى في المدن الآهـلة بالعلماء والزاخرة بالمدارس كثيراً ـ إن لم نقل الأكثر ـ جهالاً[1] ، لا يعرفون قراءة ولا كتابة بل نتفضل ونزيد الأستاذ بياناً . كم شاهد الناس كثيراً من البلدان والقرى التي يقطنها مئات أو ألوف من البشر . ليس فيها أناس متعلمون . وإن وجد في بعضها . فقد تجد في كل مائة ثلاثة أو أربعة . وحتى في عصرنا هـذا الذي هو عصر النور والمدنية في نظر الأستاذ !.

فكيف يستبعد أن يكون في ذلك العصر الذي قد فشا الجهل في أكثر الأقطار . ولا سيما الجزيرة العربية ، وأمطرهم بوابله المدرار ، وجرفهم بتيارات الخرافات والضلالات والأوهام .

٢٥٧ ومن شبهه التي يستحي العاقل أن يتفوه بها قوله : « كان النبي ﷺ في رعاية أبي طالب وكفالته . وكان رجلاً عارفاً. وقد تعلم إبنه علي بن أبن طالب . وقد كان شديد الحب للرسول . فكيف يمكن أن يتعلم إبنه عليّ ولا يتعلم محمد ؟. وأتى بكذبة كبيرة أزكمت رائحتها أنوف القارئين والسامعين . وهي :

« أن ليست مكة هي المختصة بوجود المدارس. بل كانت المدينة والطائف بها مدارس لتعليم البنين مع البنات ...»!!.

---

(١) مفعول ثاني «ل» نرى .

والجواب: عن قوله: « كيف يمكن أن يتعلم أبنه عليّ ولا يتعلم محمد ».

٢٥٨ أولاً: اذا وهب الله للناس عقلاً كعقل الأستاذ، وتفكيراً كتفكيره، وعلماً كعلمه. أمكن إذ ذاك أن لا يستسيغوا تعلم عليّ، وعدم تعلم الرسول. وإلا فأي تلازم بين معرفة أبي طالب وحبه للرسول ﷺ وتعلم الرسول؟. وأي عقل يحكم بانه اذا كان أبو طالب محباً للرسول، يكون من اللازم أن يتعلم الرسول !!. فكم رأينا والداً شديد الحب لإبنه أو لبنيه لا يوفق الإبن للتعلم أو البنون، مع بذل كل مجهود من والدهم. هذا مع وجود مدارس تعلم البنين والبنات. فكيف اذا كان الوالد وبنوه ببلدة ليس فيها معلم ولا مدرسة؟.

٢٥٩ ثانياً: هل يلزم اذا كان عليّ متعلماً، أن يكون الرسول ﷺ متعلماً ؟؟. لا ريب أن الجواب بالسلب.

كما لا يلزم اذا قلنا: أن الأستاذ قد أخطأ وزلت قدمه في هذا القول المضحك المبكي. أن يكون أهل بلده قد اخطأوا ـ أو على الأقل ـ أهله واخوانه.

٢٦٠ ثالثاً: لو فرضنا ان أبا طالب كان عالماً جليلاً. بل كان سلطاناً لعلماء الحجاز. فهل يلزمه أن يكون أولاده أو أحفاده، أو بعضهم علماء؟. بل هل يلزم أن يكون واحداً منهم عالماً؟. أو ما رأي الأستاذ

ورأي الناس أن كثيراً من العلماء الأجلاء لهم أبناء ، إما أن يكونوا كلهم غير متعلمين أو بعضهم .

إن قضية العلم والهداية ليست بالوراثة . بل تتوقف على اجتهاد المرء وطلبه ، وذكائه ، ومحالفة التوفيق له . وهذا مسلم به .

٢٦١ رابعاً: ولو عارضنا سؤاله بقولنا: كيف يكون محمد رسول الله، أرسله الله رحمة للعالمين . وقد دخل في دينه من العرب وغيرهم .ومن قبيلته وغير قبيلته . وأبو طالب الذي كان يحبه حباً جماً، وهو الذي قام برعايته ، ورباه أحسن تربية ، وحماه عن أذى قريش . لم يُسْلم . ولم يقبل تعاليم الرسول الذي كان يحبه حباً جماً .

فلا بد أن يجيب الأستاذ باحد الأمرين . إما أن يقول : قد أسلم، وهنا يستبين جهله ومخالفته لعلماء المسلمين ، ولا عبرة بالشيعه والمتشيعين .

وإما أن يقول ، كما عليه أهل السنة والجماعة : أن أبا طالب لم يسلم . بل مات على الشرك . فإن قال هذا . وهذا هو الصواب . فقد أتى على زعمه من قواعده ، وخر عليه السقف . ووضح الحق لذي عينين ، وزال الباطل والمين .

وهل يحسب الأستاذ أن الناس ، أو المسلمين قد فقدوا عقولهم حتى يسلّموا له وينقادوا لقوله ؟. بمثل هذه السخافات التي لو قالها

أميّ لكان هدفاً للاستهزاء والسخرية . فكيف بأستاذ متضلع من العلوم ـ بزعمه ـ !!

٢٦٢ والجواب عن قوله : « أنه كان بمكة مدارس » . أن نقول : لا نصيب لهذه الدعوى من صحة أبداً . ومن زعم فعليه الإثبات . وأنىّ له .

ثانياً : أن المدارس لم تكن في عصر النبوة . ولا في عصر الخلفاء الراشدين ، ولا في عصر الأمويين . ولم تنتشر العلوم وتزدهر إلا في عصر بني العباس . ـ وإن كان إبتداء ترجمة العلوم قد حصل في أواخر خلافة بني أمية ـ فلو كانت المدارس موجودة في عصر الرسالة لنمت وانتشرت في عصر الخلفاء وأكثر . وفي عصر بني أمية تكون أكثر من عصر الخلفاء . ولكن لم يكن شيء من ذلك . نعم كان العلماء يلقون الدروس في المساجد وفي البيوت .

ولكن الأمر كما جاء في الحديث الشريف : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى . اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولو أجلبت بخيلك ورجلك ، واستعنت بالإنس والجن لما وجدت الى دعواك هذه سبيلا . وسيأتي مزيد كلام .

٢٦٣ ومن شبهه الواهية ، وأقواله التي عن الحق عارية . قوله : « كيف كان موسى متعلماً . ونبينا عليه الصلاة والسلام مع كونه أفضل

يكون أمياً ؟.

٢٦٤ والجواب : لا تلازم بين تعلم موسى وأمية محمد ﷺ . بل لو قلنا أن هارون عليه السلام ، وقد كان أخا موسى أمي[١] . لما ورد علينا هذا السؤال .

أما علم الأستاذ أن موسى عليه السلام نشأ في مصر معدن الحضارة والثقافة ، وفي بيئة انتشر فيها العلم والمدنية ، أضف الى ذلك أنه تربى في بيت الملك . وسيدنا محمد ﷺ ولد بمكة ، ونشأ بها . ولم يكن بها علم . وقد أطبق المؤرخون أن القراءة والكتابة كانتا نادرتين في العرب . وقد دخلت الكتابة مكة المكرمة قبيل الإسلام بقليل ـ كما سبق ذلك ـ فكيف يقاس محمد ﷺ بموسى[٢] ؟. على أننا قلنا ونقول : أن الأمية كانت صفة كمال له . ومن دلائل نبوته ﷺ .

---

(١) خبر إن .

(٢) بل لو كانت مكة آهلة بالعلوم والحضارة ، ومملوءة بالمدارس والجامعات ، لم يلزم أن يكون الرسول متعلماً . ولا أظن أن أحداً يخالف في مثل هذا الأمر الواضح . ولكن حضرة الأستاذ ـ هداه الله ـ امتثل قول من قال (خالف تُذكر) أو : (اذا أردت أن تذكر فافعل المنكر) . فالأستاذ لو اعتذرنا له بعدم سوء القصد ، فلا يخلو من حب العلو والشهرة . والخروج الى الناس بشيء جديد ، حتى يقال : أنه قد غاص في بحار الحقائق . واستخرج اللآلىء المكنونة التي خفيت على من سلف من العلماء على اختلاف أصنافهم ، وتنوع مشاربهم ومذاهبهم . وأتى بما لم تستطعه الأوائل .

ونعت بها في التوراة والانجيل . ونص الله عليها في آيتين من سورة الأعراف . ولو فرضنا أن أهل مكة كان أكثرهم متعلماً . لما لزم أن يكون الرسول ﷺ متعلماً . وقد ثبتت أميته بطريق التواتر ، فما هذه الشبه الفاسدة والنظريات الكاسدة ، التي لا يتفوه بها من يتصف بالحجا .

٢٦٥ ومن شبهه السقيمة قوله : « إن من وظيفته ﷺ تعليم الناس وإرشادهم . وكم حث الرسول ﷺ على تعلم العلم وتعليمه . حتى فدى بعض أسرى بدر بأن يعلم كل واحد عشرة من الرجال . فإذا كان بعث للتعليم وقد حث عليه . وبالفعل انتشر العلم والتعليم بسببه . فهل يعقل أن يكون أميًّا ؟. وكيف يكون معلماً وهو لا يقرأ ولا يكتب ؟. » .

٢٦٦ والجواب : أن كلامه هذا فيه صواب وخطا . أما كونه من وظيفته تعليم الناس وارشادهم . وحثهم على تعلم العلم وتعليمه في عدة أحاديث ، ورفع شان العلم والقراءة والكتابة . فهذا صواب لا يخالفه فيه أحد . ولكن لا يلزم أن يكون قارئاً من صحيفة أو كاتباً كتاباً . فكم رأينا معلماً مبصراً يحفظ القرآن ويعلم الأولاد. بل قد يكون حافظاً لبعض الأحاديث والمسائل الفقهية، يعلمويرشد الناس الى الطريق السوي . ولكن لا يستطيع ان يقرأ كتابا ، أو يخط رسالة . وهذا واضح لا يقبل الجدل والمناقشة . ولا يحتاج الى دليل وتعليل ، ولا يكابر فيه إلا ملحد أو عنيد عليل .

٢٦٧ ومن سخافته المضحكة . بل الإفتراءات المكشوفة . ما زعمه أن النبي ﷺ كانت له مدرسة وهي الصفة . مرتبة كترتيب المدارس ـ يريد الصف الأول والثاني ، وهكذا ـ يتعلم فيها الأولاد والبنات القراءة والكتابة ، والأحاديث. ويرسل من المتعلمين أناساً الى البلدان والقرى . وزعم بأن البخاري ذكره في كتاب (مواقيت الصلاة) وإبن سعد في الطبقات[١] .

٢٦٨ والجواب: لا ريب أن الرسول ﷺ بُعث مرشداً ومعلماً ومبشراً ومنذراً . وكانت أقواله وأفعاله وتقريراته كلها علم وهداية . ونشر وإرشاد ، وتعليم وبيان .

---

(١) وتفضل مستمعاً ما ذكره إبن سعد في الطبقات . عن أهل الصفة . قال كان أهل الصفة ناس من أصحاب رسول الله لا منازل لهم ، وينامون في المسجد ويظلون فيه ما لهم مأوى غيره . وكان رسول الله يدعوهم إليه بالليل اذا تمشى فيفرقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة معه حتى جاء الله بالغنى . وكان عددهم ثلاثين رجلا . ولم يذكر عن المدرسة التي زعمها الهندي .

وذكر تحت عنوان وفود ربيعة عبد القيس: أنهم كانوا عشرين رجلا يرأسهم عبدالله بن عوف الأشج . وأنزل وفد عبد القيس في دار رملة بنت الحارث . وكان عبد الله يسائل رسول الله عن الفقه والقرآن . اه باختصار . فلعل الهندي أخذ من قوله « يسائل عن الفقه » أنه كانت هناك مدرسة .

كما ذكر عن صفة رسول الله وصلاته وخطبته وحسن خلقه وعشرته ، وشَعره وقناعته . والحاصل أنه لم يترك صفة من صفاته إلا وذكرها . حتى خضابه ولباسه وحجامته ومشطه ، ولم يذكر شيئاً عن تعلمه وثقافته كما ذكر الهندي .

وأهل الصفة بما أنهم كانوا فقراء ، ومهاجرين . كانوا أكثر ملازمة من غيرهم للرسول .

وأما أنـــه أطلق عليها مدرسة . أوْ رتبها بترتيب المدارس ـ كالصف الأول والثاني والثالث ـ أو كان هناك معلمون غيره يحضرون للتعليم ، كما يفهم من كلامه ، حيث قال : (كان النبي في بعض الأحيان يحضر لتعليمهم) .

فهذا مما يعجز حضرة الأستاذ عن إثباته . ولو أجلب بخيلـه ورجله واستعان بالثقلين . ولو آزره علماء المشرقين والمغربين .

ولا أدري أكانت هذه المدرسة التي تصورها وتخليها ، وأبرزها للناس كحقيقة ثابتة . إبتدائية أم ثانوية . أم كانت جامعة أم كلية!!.

وهل كانت تعطى فيها الشهادة للمتخرجين ؟. وأين المؤرخون؟ هلاّ ذكروا هذه المدارس التي زعمهـا الأستاذ ؟. فلو كانت مدارس ـ كما توهم أو زعم ـ لكانت أولى وأجدر بالذكر من غيرها .

وكل ما في الأمر. أن النبي ﷺ كان يعلم ويرشد الناس . سواءاً كان في بيته أو في مسجده ، أو زائراً بعض أصحابه ، أو في غزواته وحروبه . وبالجملة فكانت أعماله وأقواله وأفعاله وتقريراته كلها تعليم وهداية . وإرشاد وبيان إلى سبيل الرشاد . ولم يختلــف في هذا إثنان .

وأما على حسب ما ذكره الأستاذ ، من وجود مدارس منظمة . فهذا مما يخالفه كل إنسان . ويعلم هو في قرارة نفسه أن لا نصيب لهذه الدعوى من الصحة . فما باله لا يحترم عقول الناس وعواطفهم . بل يريد أن يتلاعب بهم . فيأتي بهذا السخف والهذيان . ويصر في عناد بعد كل جملتين أو ثلاثة من كلامه ، أن النبي كان متعلماً . وكان يقرأ ويخط . بل فوق ذلك كان يعرف حسن تصوير الخط وآداب الكتابة وكيفيتها ، وما ينبغي للكاتب أن يفعله حين الكتابة .

« سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[1].

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه

إذا لم تخش عاقبــة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

٢٦٩ وأمّا ما موه به على الناس ، وأوهم القراء . أن البخاري ذكر في كتاب (مواقيت الصلاة) ما يدل على مدعاه من تلك المدرسة النبوية المرتبة بالصفوف وعلى الأنظمة الغربية أو الهندية . فإلى القارىء ما ذكر البخاري :

---

(١) سورة النور الآية ١٦ — ١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله : (إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا): موقتاً وقته عليهم . وهنا أخرج عن إبن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يوماً ، فدخل عليه عروة بن الزبير ، فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً[1] وهو بالعراق . فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال : ما هذا[2] يا مغيرة ؟. أليس قد علمت أن جبريل صلوات الله وسلامه عليه نزل[3] فصلىّ فصلى رسول الله . ثم صلى فصلىّ رسول الله ، حتى ذكر خمساً . ثم قال بهذا[4] أمرت . فقال عمر (رض) أعلم[5] ما تحدث به . أو أن[6] جبريل هو أقام لرسول الله

---

(١) كانت صلاة العصر كما ذكر الحافظ إبن حجر .

(٢) التأخير .

(٣) كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة ، وهي ليلة الإسراء . ومعنى قوله (صلى فصلى) أن جبريل كان كلما فعل جزءاً من الصلاة تابعه النبي ﷺ بفعله .

(٤) بفتح التاء . والمعنى : هذا الذي أمرت أن تفعله كل يوم وليلة .

(٥) بصيغة الأمر .

(٦) بفتح الهمزة وهي للإستفهام . والواو عاطفة ، والعطف على شي مقدر . وبكسر همزة إن .

وقوت الصلاة . فقال عروة : كذلك كان بشير بن مسعود يحدث عن أبيه . قال عروة : ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر ، والشمس في حجرتها قبل أن تظهر[1] .

٢٧١ باب قول الله : « مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ » .

عن إبن عباس[2] قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله . فقالوا : إنا هذا الحي من ربيعة . ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام . فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعوا إليه من وراءنا . فقال : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . الإيمان بالله ثم فسرها لهم ، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . وأن تؤدوا إليّ خمس ما غنمتم . وأنهى عن الدُّبّاء[3] ، والحنتم[4] ، والمقير[5] ، والنقير[6] .

(١) هي الصلاة التي وقع الإنكار بسببها .

(٢) حذفت السند إختصاراً .

(٣) بضم الدال ، وتشديد الموحدة : اليقطين اليابس . والنهي إنما عن الإنتباذ فيها . لا عن أكلها .

(٤) بفتح المهملة : الجرار الخضر .

(٥) ما طلي بالقار .

(٦) بفتح النون وكسر القاف . ما ينقر في أصل النخلة . ولم يذكر هنا صيام رمضان مع أنه قد فرض في السنة الثانية من الهجرة . ووفادة هؤلاء كانت عام الفتح ، لكنه ذكر في الرواية السابقة في باب « أداء الخمس من باب الإيمان » .

٢٧٢ باب البيعة على إقامة الصلاة

عن جرير بن عبدالله قال: بايعت رسول‌الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم . ثم ذكر البخاري أبواباً كثيرة : كباب فضل الصلاة لوقتها . وباب الصلوات الخمس كفارة . وباب في تضييع الصلاة عن وقتها . وباب المصلي يناجي ربه . الى آخر ما جاء في الصحيح من الكتاب المذكور[١] .

فهل فهم القارىء الكريم من كتاب مواقيت الصلاة ، وتلك الأبواب المتدرجة تحت الكتاب ، أن للرسول كانت مدرسة يعلم فيها البنين والبنات ؟. أم أن الأستاذ يخرق ويسفسط ويزيف ويتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور .

---

(١) ذكر البخاري في الباب المذكور واحداً وأربعين باباً حتى بدء الأذان . وكلها تدور حول الصلاة من نحو بيان أوقاتها وفضائلها وقضائها . وغير ذلك .

كما ذكر في باب بدء الأذان الى باب وجوب صلاة الجماعة ثمانية وعشرين باباً، وكلها حول الأذان . وكل ترجمة من تراجم الأبواب تدل على ما يحويه الباب . ولم نجد في أبواب مواقيت الصلاة ولا في أبواب الأذان ولا الجمعة ، ولا الجماعة ما يصلح شبهة لهذا الزاعم .

وذكر عن أهل الصفة في باب السمر مع الأهل والضيف قريباً مما ذكره إبن سعد .

وكل ما في الأمر أن في حديث وفـــد عبد القيس ، تعليمهم بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء خمس المغانم . والنهي عن الأربعة الأشياء المارة .

وفي حديث جرير : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم . لأن الرسول كان أول ما يشترط بعد التوحيد . إقامة الصلاة، لأنها رأس العبادات البدنية . ثم الزكاة ، لأنها رأس العبادات المالية . ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمسّ . فبايع جريراً على النصيحة لأنه كان سيد قومه . فارشده الى تعليمهم ، بأمره بالنصيحة لهم .

وبايع وفد عبد القيس على أداء الخمس، لكونهم كانوا أهل محاربة مع من يليهم من كفار مضر .

وهل لا يكون التعليم والإرشاد إلا بمدرسة أو كلية أو جامعة ؟.

ما هذا الكلام البارد ، والمنطـق السمج ، والتدليل العليل ، والإستنتاج السقيم الذي لا يصدر إلا عن أبله أو أرعن، أو جاهل أو متجاهل . يقصد الكيد والدس والغش والزور والإفتراء الكفور مسبوكاً بعبارات مرونقة ، ومخيطة بثياب مزركشة ، تحـت ستار أنه ﷺ كان قارئاً وكاتباً كسائر اخوانه النبيين . وأن القراءة والكتابة لا تنافيان النبوة .

وقد أريناك أيها القارىء الكريم بطلان كلام الأستاذ . وأنه لم

يستند الى حجة عقلية ولا نقلية . وإنما استند الى أوهام وشُبهٍ أوهى من بيت العنكبوت .

وقد أريناك أيها القارىء الكريم بطلان كلام الأستاذ ، وأنه لم يستند إلى حجة عقلية ولا نقلية ، وإنما استند إلى أوهام وشُبهٍ أوهى من بيت العنكبوت كالباجى وأمثاله القائلين بهذا القول السخيف وإن كانوا علماء أجلاء إلا أنه يظهر من حالهم أنهم كانوا مغفلين لم يفكروا في عواقب ونتائج هذا القول الباطل ، والعلم شيء والعقل شيء آخر ، وكأنهم يريدون تكثير المعجزات للرسول ﷺ كما ذكروا حديث الغزلة ، وحديث الضب وأمثالها مما ورد بأحاديث موضوعة أو ضعيفة ، ولاشك أن ما حصل منهم بدافع الحب للرسول ﷺ ولكن خفى عليهم أن فتح هذا الباب من أكبر الجنايات والمطاعن التى توجه إلى الدين .

قال الدكتور محمد خليل هراس في تحقيقه للخصائص الكبرى للسيوطى ج ٣ ص ٢٧٢ :

ومن العجيب أنهم يعكسون القضية فيجعلون معجزته عليه الصلاة والسلام ليست في أميته كما نطق القرآن ، بل في تعلمه الكتابة لوقته ، بل إنهم ليرمونه ﷺ بالعبث واللعب حتى يقولون إنه أمسك بالقلم وأخذ ينقش في الورقة ، فإذا بهذه النقوش تصير حروفاً مكتوبة من حيث لا يدري ، كأنهم اطلعوا منه ﷺ على ما لم يطلع عليه أعداؤه ، إذ لو رأوا منه شيئاً من ذلك لكان من أعظم ما يطعنون به عليه ، وكم لقى الاسلام من أنصاره الجاهلين ما لم

يلق من أعدائه الشائنين ولا حول ولا قوة إلا بالله . ا . هـ .

وصدق الشيخ فيما قال فقد فتح كثير من هؤلاء أبواب الشر على دين الاسلام كقولهم بالبدعة الحسنة ، فمن جراء هذه البدعة أدخلوا كثيراً من العبادات والأذكار وبعض العقائد الضالة تحت هذه البدعة كبدعة التوسل بالأنبياء والصالحين ، وبدعة صلاة الظهر بعد الجمعة وبدعة التصوف وما هم فيه من المبادىء المخالفة لدين الإسلام ، كما فتحوا شراً أكبر بجواز التأويل في آيات الصفات الخبرية لتأويل الاستواء والنزول وما إلى ذلك من الصفات ، حتى تمكن الباطنيون والملحدون في تأويل أكثر الشريعة حتى أركان الاسلام ، وهكذا يبتدع البعض أمراً ظاهره التقرب إلى الله ، وقد يكون قصده حسناً ولكن نتائجه سيئة وعواقبه وخيمة كبدعة مولد ﷺ ، كم جرت هذه البدعة من الفسق والفجور كدق الدفوف والحركات التى تشبه الرقص واختلاط الرجال بالنساء والاستغاثات والتوسلات بالرسول الكريم وهناك مناكر أخرى ، ومن هذه البدعة ابتدعوا مولداً للسيد عبد القادر الجيلاني ومولدا للسيد أحمد البدوى .

وهكذا كل فرقة ابتدعت بإحداث مولد بمن يسلكون طريقته ، والقصد من هذا الكلام أن لا ينبغى للإنسان الحريص على دينه والمتمسك بسنة نبيه ﷺ أن يغتر بقول عالم مهما سمت منزلته وعلت درجته وكثرت مؤلفاته حتى يزنه بميزان الكتاب والسنة ، فإذا وافق قوله كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فبها ونعمت وإلا فمردود على قائله .

وهنا إذا وازنا كلام الباجى وأبى ذر الهروى بأن الرسول كتب اسمه محمد بن عبد الله كزيادة في معجزة ، نجد هذا القول تكذيب للقرآن لأن القرآن الكريم يقول (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . . .) الآية ويقول تعالى (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) فالله سبحانه وتعالى بين الحكمة في كون نبيه أمياً ، وقد أتى بهذا القرآن المعجز الذي فيه من العلوم ما لم يعرفه أهل عصره ولا فلاسفة زمانه مع كونه أمياً ، فهذا الوصف من المعجزات ولأنه لو كان يقرأ ويكتب لارتاب المبطلون أى لحصل منهم الشك والريب بأنه كتبه من عنده ، وبالفعل لما وجد بعض المستشرقين الخبثاء مثل قول الباجى وأمثاله قالوا إنه كان يقرأ ويكتب كما سبق في صلب الكتاب .

ولو فكر الباجى وأمثاله رحمهم الله لنتائج هذا القول لما قالوا ما قالوا .

تنبيه : بمناسبة كلام الباجى ورد العلماء عليه والكتاب كله في إثبات كونه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ونفى صفة الكتابة عنه خاصة ، أما القراءة فقد أقرأه جبريل عليه السلام الوحى المنزل عليه وحفظه ثم قرأه ﷺ على أصحابه رضوان الله عليهم ، ويعجبني في هذا المقام ما قاله الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسيره في سورة العنكبوت للآية الكريمة (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) .

وإن فاتنى أن أنقل عنه في النقل عن زمرة المفسرين السالفين ، فلا يفوتنى الآن أن أنقل عنه تحت الآية السالفة .

قوله تعالى : « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لا ارتاب المبطلون » .

هـذا الخطاب للنبي الكريم من ربه سبحانه وتعالى ، يكشف لأهل الكتاب ، الذين كانوا في هذه البيئة الأمية جامعة العلم ، هذا الخطاب يكشف لهم عن حقيقة جهلوها وتجاهلوها ، وهي أن هذا الأميّ في الأمة الأمية ، لم يكن ممن أَلَمّوا بشيء من القراءة والكتابة ، حتى على هذا المستوى المتواضع الذى كان لبعض نفر قليل من قومه ، ممن عرفوا القراءة والكتابة ، ومع هذا فهو يحمل في صدره ، وعلى لسانه ، وبين يديه ، كتاباً عجباً ، يعلو بسلطانه على كل كتاب ، ويستولى بعلمه على كل علم ، ويقطع بحجته كل حجة ، ويقهر بمنطقه كل منطق ، ويفحم ببيانه كل بيان !!

فمن أين أتى الأمى بهذا كله ؟ .

وإذا كان للأميين المشركين أن يقولوا ـ جهلا ـ « إنما يعلمه بشر » وإذا كان لهم أن يقولوا ـ استبعاداً أو استعظاماً ـ إنه أخذ هذا العلم عن بعض العلماء من أهل الكتاب ـ فماذا يقول أهل الكتاب في هذا الكتاب ؟ وإلى أى نسب ينسبونه ، وإلى أى عالم منهم يسندونه ؟ .

إنه لم يجرؤ أحد من أهل الكتاب أن يقول كلمة واحدة فينسب هذا الكتاب إلى علمهم ، أو إضافته إلى أحد من علمائهم . . وقد كان لهم ـ وهم أصحاب العلم ـ أن يقولوا شيئاً من هذا الذى كان يقوله الأميون ، لو أنهم وجدوا لهذا القول مكاناً ـ أىّ مكان ـ ولو من قبيل التلبيس والتشكيك . .

فلقد كان المدى بعيداً بين هذه الشمس المتألقة في كبد السماء ، وبين الأيدى التي تحاول الإمساك بها ، وعَقْد سحب من الظلام في وجه أضوائها المتدفقة ! .

ومن هنا ، فإنه لا سبيل لأهل الكتاب أن يرتابوا في نسبة هذا الكتاب إلى الله ، وأن يقولوا بأن إنساناً أميًا ، في أمة أمية ، يمكن أن يكون هذا الكتاب ، أو شيء منه ، من عمله . . وأنه إذا كان يمكن أن يرد عليهم شيء من الشك في أن إنساناً ، قارئاً ، كاتباً ، دارساً ، يمكن أن يأتى بمثل هذا الكتاب ، فإن مثل هذا الشك يكون مستحيلا ، إذا جاء الكتاب على يد أمى ، ما عرف القراءة والكتابة ، ولا حضر مجالس الدرس والتحصيل .

وكونه أمياً لا يصح ، أن يكون موضع بحث أو خلاف ، فقد جاء القرآن ناطقاً صريحاً بأمية النبى ، وجعل هذه الأمية صفة دالة عليه ، يجده عليها أهل الكتاب فى كل حالة يلقونه عليها . وفي كل زمنٍ يوجهون وجوههم إليه . . فالله سبحانه وتعالى يقول : (الـذين يتبعـون الـرسـول النبى الأمىّ ، الذى يجدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والإنجيل . . يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم» (١٥٧ : الأعراف) . . والأمية هنا لاشك هى أمية القراءة والكتابة ، أما أمية العلم ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ـ بما علمه ربه ـ عالم العلماء ، وحكيم الحكماء ، كما يقول سبحانه وتعالى مخاطباً له : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (١١٣ : النساء) .

فكيف إذن يكون النبى قد خرج عن صفة الأمية بعد البعثة ، وعرف القراءة والكتابة ، ثم يكون بهذا حجة على أهل الكتاب الذى يجدون وصفه فى التوراة والإنجيل ، نبياً أمياً فى الأميين؟ ثم ما حاجة النبى الى ان يعرف القراءة والكتابة بعد النبوة ؟ أكان ينقل الكتاب الذى بين يديه عن كتب أخرى حتى يضطره ذلك إلى معرفة القراءة والكتابة؟ أم ماذا ؟ لا نجد جوابا !! أ ـ هـ .

وإن قال قائل : الأمي نسبة إلى أم القرى ـ وهى مكة .

قلنا : هذا رأي لم يقل به إلا النحاس كما ذكره القرطبي فى تفسير الاعراف . والرد عليه من جانبين أيضا :

الأول :

أقصى ما نصل إليه بقول النحاس والقرطبي أن نقول : ليس فى الآيتين الكريمتين اللتين تتحدثان عن الأميين أو غيرهما دليل

على أنه يقرأ ويكتب ، وإذا قصد القائل إثبات أن الأمي نسبة الى أم القـرى فقط، قلنا هو غير صحيح لغوياً، فالنسبة فى الاسم المـركب تكـون الى المضاف اليه ولا تكون الى المضاف ، وعليه حسب رأي القائل تصير النسبة الى مكة أم القرى (قُروى) بضم القاف لأنها (قرى) بضم القاف أيضاً يعني جمعاً ، وهذا يذكرنا بأم الدماغ وهى جليدة رقيقة تحيط بالدماغ، قلنا وإذاً فالنسبة غير صحيحة فقد ينسب إلى الدماغ كذلك فيختلط بأم القرى. . ولا أغرب من هذا ولا أعجب.

الثـاني : الذي يقطع فى المسألة عادة سياق النص. فالنسبة المعروفة لأحد المكيين الذين ينتمون إلى ام القرى وقبل إسلامها (مشرك) ثم إحـدى الآيـات ذكرت كلمة (الأميين) وتقصد بهم اليهـود وهي قوله تعالى : «ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون» فالآيات هنا تتحدث عن بني اسرائيل، وهم ليسوا من أهل مكة يعنى من أهل أم القرى لينسبوا اليها.

وخلاصة هذه المسألة أيضاً أنها تعنى من لا يقرأ ولا يكتب بعد أن بطل كون الأمين نسبة الى أم القرى، وكل هذا تحت ظلال اللغة والنصوص العقلية والنقلية.

تنبيـــه :

من عجائب الأقوال أن بعض من استند إلى نفي الأمية عن النبي صلى الله عليـه وسلم يقول ان اليهود يطلقون على غيرهم

(أميون) نسبة الى الأمم ولا سيما العرب الوثنيين ، إن هذا القائل قد يستند إلى ما جاء في دائرة المعارف البريطانية التى ترجمت الى العربية التى ذكرت فى تفسير الأمي : من لا يقرأ ولا يكتب. كما ذكرت هذا القول .

ومما لا يختلف فيه اثنان ان القرآن عربي نزل بلغة العرب ، قال تعالى : «لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربي مبين» (٣ : سورة النحل) . (كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعقلون) (٣ : فصلت) (إن جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) (٣ : سورة الزخرف) .

وقد ذكرنا فيما سلف تفسير كلمة الأمي من معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس وغيرهما.

ومحل العجب أن نطلب تفسير آيات القرآن من غير لغة العرب كلغة اليهود والمسيحيين ومما يزيدك إيضاحا وبياناً وبطلانا لهذا القول ، أن القرآن العظيم ذكر عن بعض اليهود أنهم أميون بمعنى لا يقرأون ولا يكتبون ـ قال الله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون).

ولقد جاءت كلمة (الأمي) في القرآن الكريم فى ست آيات كريمات نذكرها فيما يلى :

١ ــ قال الله تعالى (الذين يتبعون النبى الأمى الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) .

٢ ـ وقال الله تعالى (قل : يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون) .

٣ ـ وقال الله تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم) .

٤ ـ وقال الله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ، ذلك انهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) .

وقال الله تعالى (هو الذى أرسل في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيه ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

٦ ـ قال الله تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون) .

وأما ما يستدل الهندى وأمثاله في نفي الأمية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الأحاديث، فكلها أحاديث موضوعة لا يصح منها حديث، وقد تكلمنا عنها سابقاً إلا ما جاء فى صلح الحديبية وسبق الكلام عليه.

والحمد لله على ما من منَّ علينا ووفقنا لإتمام هذا الكتاب .

٢٧٣ ويحسن أن نختمها بقول الشاعر (رحمه الله) :

كفاك بالعلم في الأميّ معجزة ... في الجاهلية ، والتأديب في اليتم

وبقول شوقي [رحمه الله] في همزيته النبوية المبتدئة بقوله :

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء

يا أيها الأميّ حسبك رتبة ... في العلم إن دانت[1] بك العلماء

الذكر آية ربك الكبرى التي ... فيها لباغ المعجزات غناء

صدر البيان له اذا التقت اللغى ... وتقدم البلغاء والفصحاء[2]

نسخت به التوراة وهي وضيئة ... وتخلف الإنجيل وهو ذكاء[3]

أزرى بمنطق أهله وبيانهم ... وحي يقصر دونه البلغاء

حسدوا فقالوا : شاعر أو ساحر ... ومن الحسود يكون الاستهزاء

---

(١) دان به : إتخذه ديناً

(٢) جمع لغة .

(٣) من أسماء الشمس .

يوحى إليك النور في كلماته   متتابعاً تجلى بـه الظلماء
دين يشيد آية في آيـة   لنباته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا   والله جـل جلاله البنّاء
أما حديثك في العقول فمشرع   والعلم والحـكم الغوالي ماء
البر عندك ذمة وفريضة   لا منّة ممنونـة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله   حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى   فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنساناً تخير ملة   ما اختار إلا دينك الفقراء

سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وسائر العلماء المهتدين. قد وقع الفراغ من تسطير هـذا الجواب الموسوم « بالجواب الشافي الوافر » في الرد على من نفى أميـة سيد الأوائل والأواخر » في الساعة الرابعة من ليلة الأربعاء الموافق الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٨٧ هجري . في مدينة الدوحة بقلم الفقير إلى الله : أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي آل بن علي .

فهرس محتويات الكتاب

فهرس التعاليق

الصحيفة	الموضوع

الصحيفة	الموضوع
٢٠٠	لم يقتصر الأستاذ على معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة . بل قال كان يعرف إجادة الكتابة ونقد كلامه .
٢٠١	حذف الجمل اذا دل دليل على المحذوف من أبلغ الكلام .
٢٠٣-٢٠٤	نقد ما نقله عن الشعبي . ما مات حتى كتب .
٢٠٦-٢٠٧	إيراد سؤال حول أمية العرب خاصة . وما يرد عليها والجواب .
٢٣٩	لا يلزم من وجود والحضارة على الفرض والتقدير : أن يكون متعلماً .
٢٤٦	تعليقات لطيفة على بعض أحاديث البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

